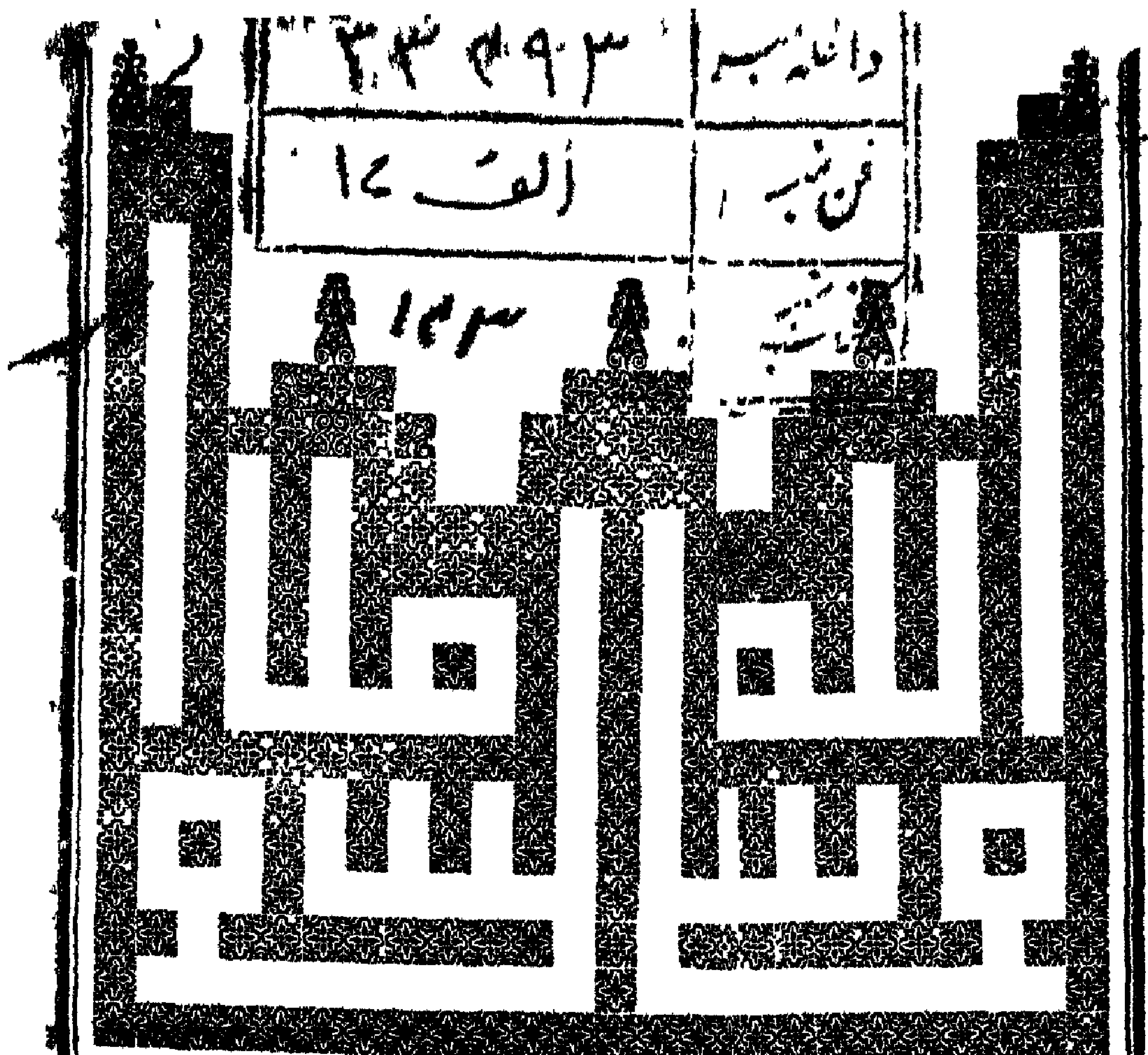
تفسير النسفي

الجزء الرابع



﴿سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانين آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يس) عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفى الحديث ان الله تعالى سمانى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه و يس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس بالامالة على وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم (الحكيم) ذى الحكمة أولانه دليل ناطق بالحكمة أولانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (انك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا [illegible] مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أى الذين أرسلوا [illegible] مستقيم [illegible] شامى وكوفى غير أبى بكر على اقرأ تنزيل أو على أنه مصدر [illegible] وغيرهم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف أى هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوى العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه افهام أولى الرشاد واللام فى (لتنذر قوما) متصل [illegible] المرسلين أى أرسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أى قوما غير [illegible] على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم [illegible] موصولة منصوبة على المفعول الثانى أى العذاب الذى أنذره آباؤهم كقوله

انا

انا أنذرنا كم عذابا قريبا اومصدرية اى لتنذر قوما انذارآبائهم اى مثل انذارآبائهم (فهم غافلون) ان جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفى اى لم ينذروافهم غافلون والافهومتعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل اوفهوغافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعنى قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين اى تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفرثم مثل تصميمهم على الكفروانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين فى انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم فى ان لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن النظرفى آيات الله بقوله (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهوقامح اذاروى فرفع رأسه وهذالان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلى وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فاغشينا أبصارهم اى غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اى سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروى ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها اشهدك انى تائب عن قولى فى القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فاخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) [illegible] انذارك من اتبع القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) وخاف عذاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهى العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) اى الجنة (انا نحن نحيى الموتى) نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما أسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه اوكتاب صنفوه اوحبيس حبسوه او رباط اومسجد صنعوه اوسيئ كوظيفة وظفها بعض الظلمة وكذلك كل سنة حسنة اوسيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم و[illegible] من اعماله وأخر من آثاره وقيل هى خطاهم الى الجمعة اوالى الجماعة (وكل شئ احصيناه) عددناه وبيناه (فى امام مبين) يعنى اللوح [illegible] الكتب ومقتداها (واضرب لهم

مثلا أصحاب القرية) ومثل لهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية اى انطاكية اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية والمثل الثانى بيان للاول وانتصاب (اذ) بانه بدل من أصحاب القرية (جاءها المرسلون) رسل عيسى عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان (اذ) بدل من اذ الاولى (أرسلنا اليهم) اى أرسل عيسى بامرنا (اثنين) صادقا وصدوقا فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار فسأل عن حالهما فقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض مدة سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير فدعاهما الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين فهل سمعت قولهما قال لا فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ورزق كل حى وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام أكمه فدعوا الله فابصر الغلام فقال له شمعون أرأيت لوسألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال الملك ليس لى عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة اودية من النار لما مت عليه من الشرك وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون ان قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا (فكذبوهما) فكذب أصحاب القرية الرسولين (فعززنا) فقويناهما فعززنا أبو بكر من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا (بثالث) وهو شمعون وترك ذكر المفعول به لان المراد ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كأن ماسواه مرفوض (فقالوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة لاهل القرية (قالوا) اى اصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب فى قوله ماهذا بشرا لانتقاض النفى بالا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) اى وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما انتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثانى باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين)

أى التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم وتفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم أو لنطردنكم أو لنشتمنكم (وليمسنكم مناعذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفى وشامى (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آين بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكى ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد فى العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان فى غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أى الرسل فقالوا له وأنت على دين هؤلاء فقال (ومالى لاأعبد الذى فطرنى) خلقنى (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالى حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفى (من دونه آلهة) يعنى الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذونى بالياء فى الحالين يعقوب (انى اذا) أى انى ان اتخذت (لفى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) اى اسمعوا ايمانى لتشهدوا الى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لان الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة ان الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم ان يقتلوه رفعه الله الى الجنة يرزق فيها لا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى لى او بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) اى من بعد قتله او رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا ان ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة او العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن)

الحسرة شدة الندم وهـذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون اوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم اهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب باهلكنا ويروا معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام اوللخبر لان أصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة وقوله (انهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامي وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب او معذبون وانما أخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعني ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر اي وعلامة تدل على ان الله يبعث الموتى احياء الارض الميتة ويجوز ان يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها (الارض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدني (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه * ولقد أمر على اللئيم يسبني * (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف ليدل على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم [illegible] اذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الارض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) من زائدة عند الاخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما ينتفعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أي ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي (وما عملته أيديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير ذلك من الاعمال الى أن يبلغ الثمر منتهاه يعني ان الثمر في نفسه فعل الله [illegible] وفيه آ[illegible] نا كما قال وجعلنا وفجرنا [illegible] الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز ان يرجع الضمير الى النخيل وترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل [illegible] ية على ان الثمر

مخلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون) استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذى خلق الازواج) الاصناف (كلها مما تنبت الارض) من النخيل والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الاولاد ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها فى الاودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار اخراجا لا يبقى معه شئ من ضوء النهار أونزع عنه الضوء نزع القميص الابيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجى أسود لان أصل ما بين السماء والارض من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فاذا غاب السراج أظلم (فاذا هم مظلمون) داخلون فى الظلام (والشمس تجرى) وآية لهم الشمس تجرى (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره اولحد لها من مسيرها كل يوم فى مرائى عيوننا وهو المغرب اولانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا (ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكى ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد فى قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل أى قدرنا نوره فيزيد وينقص أو قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة أوجه (لا الشمس ينبغى لها) اى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه فى وقت واحد وتداخله فى سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) [illegible] النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على ذلك [illegible] الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (فى فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم انا حملنا ذريتهم) ذرياتهم مدنى وشامى (فى الفلك المشحون) أى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات فى بر أو بحر أو الآباء لانهم [illegible] والفلك [illegible] سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم [illegible] فيها آباءهم الاقدمين وفى أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم [illegible] فى الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهى سفائن البر (وان نشأ

نغرقهم) فى البحر (فلاصريخ لهم) فلامغيث أوفلااغاثة (ولاهم ينقذون) لاينجون (الارحمة مناومتاعا الى حين) أى ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) أى ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر مما أنتم تعملون من بعد أومن مثل الوقائع التى ابتليت بها الامم المكذبة بأنبيائها وما خلفكم من أمر الساعة أو فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أى أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفى والثانية للتبعيض أى ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركى مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) أى تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) عن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان أنتم الا فى ضلال مبين) قول الله لهم أوحكاية قول المؤمنين لهم أوهو من جملة جوابهم للمؤمنين (ويقولون متى هذا الوعد) أى وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبى وأصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه فى الخصومة وشدد الباقون الصاد أى يختصمون بادغام التاء فى الصاد لكنه مع فتح الخاء مكى بنقل حركة التاء المدغمة اليها وبسكون الخاء مدنى وبكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء فى الكسر وبفتح الياء وكسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم وبعضهم يخصم بعضا فى معاملاتهم (فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون أن يوصوا فى شئ من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية والصور القرن أوجمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أى القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) أى الكفار (ياويلنا من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) أى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد الكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون أى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم فى ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) بضمتين كوفى وشامى وبضمة وسكون مكى ونافع وأبو عمرو (٣) والمعنى فى شغل فى أى شغل وفى شغل لا يوصف وهو

بافتضاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار أو ضرب الاوتار أو ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وأزواجهم) عطف عليه (في ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة وبرام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهي ما ستر عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهي السرير في الحجلة أو الفراش فيها (متكؤن) خبر أو في ظلال خبر وعلى الارائك مستأنف (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون) يفتعلون من الدعاء أي كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ما شئت أي تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون (سلام) بدل مما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا ويقول لهم يوم القيامة (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدوّ مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم (وأن اعبدوني) وحدوني وأطيعوني (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) أي صراط بليغ في استقامته ولا صراط أقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدني وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جُبْلا مخففا شامي وأبو عمرو وجبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات في معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم لها (اليوم نختم على أفواههم) أي نمنعهم من الكلام (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون [illegible] فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا أجير على الا شاهدا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) لاعميناهم وأذهبنا أبصارهم والطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة (فاستبقوا الصراط) على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط (فأنى يبصرون) فكيف يبصرون حينئذ وقد طمسنا أعينهم (ولو نشاء لمسخناهم) قردة أو خنازير أو حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم أبو بكر وحماد والمكانة

والمكان واحد كالمقامة والمقام اى لمسخناهم فى منازلهم حيث يجترحون المآثم (فما
استطاعوا مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا على ذهاب ولا مجىء او مضيا امامهم ولا يرجعون
خلفهم (ومن نعمره ننكسه) عاصم وحمزة والتنكيس جعل الشىء أعلاه أسفله الباقون
ننكسه (فى الخلق) اى نقلبه فيه بمعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفا
وبدل الشباب هرما وذلك انا خلقناه على ضعف فى جسده وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه
يتزايد الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى
الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع الى حال شبيهة بحال الصبى فى ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ (أفلا يعقلون) ان من قدر على أن ينقلهم من الشباب الى
الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز قادر على أن يطمس
على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويبعثهم بعد الموت وبالتاء مدنى ويعقوب وسهل وكانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) اى وما علمنا النبى
عليه السلام قول الشعراء او وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر
فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر
اذا حققته (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه اى جعلناه بحيث
لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت
والشبهة أدحض وأما قوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

فما هو الا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه
اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه ان جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس
ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد
منه على انه عليه السلام قال لقيت بالسكون وفتح الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب
ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) اى المعلم (الا ذكر وقرآن مبين)
اى ما هو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ فى
المحاريب ويتلى فى المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر
الذى هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن او الرسول لتنذر مدنى وشامى وسهل
ويعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او حيا بالقلب (ويحق القول)
وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون وهم فى حكم الاموات (أولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما) اى مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا
(فهم لها مالكون) اى خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك

مختصون بالانتفاع بها أوفهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة و يسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) أي سخرناها لهم ليركبوا ظهرها ويأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) أي آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) أي الكفار للاصنام (جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم و يذبون عنهم أو اتخذوهم لينصروهم عند الله و يشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) و بضم الياء وكسر الزاي نافع من حزنه وأحزنه يعني فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد و يستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد أخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسران وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا أو فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم ونهيه عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما في قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل في أبي بن خلف حين أخذ عظما باليا وجعل يفته بيده و يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم (أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم مبين) بين الخصومة أي فهو على مهانة أصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه و ينكر قدرته على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفتت العظم (ونسي خلقه) من المني فهو

أغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أى خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهي رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام و يقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لاتحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه عذبة رطبة فى بدن حى حساس (قل يحييها الذى أنشأها) خلقها (أول مرة) أى ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لايخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعه و يعيده كما كان (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب اسهل فى العقل من الجمع معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين أن من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسى أقدر بقوله (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به (بلى) أى قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) أن يكونه (فيكون) فيحدث أى فهو كائن موجود لامحالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فكذا لايثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكونَ شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا (الذى بيده ملكوت كل شئ) أى ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعنى هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب قال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس [illegible] قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن

أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا اخلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مديونا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والله أعلم

﴿سورة والصافات مكية وهي مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصفات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات في التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم مرجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم (ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم أجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف أي هو رب (وما بينهما ورب المشارق) أي مطالع الشمس وهي ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين وأما رب المشرقين ورب المغربين فانه أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وأما رب المشرق والمغرب فانه أراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا الكواكب بزينة الكواكب أبو بكر على البدل من محل بزينة أو على اضمار أعني أو على اعمال المصدر منونا في المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أي بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في أنفسها وأصله بزينة الكواكبَ لقراءة أبي بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب أو معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين يسّمّعون كوفي غير أبي بكر وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وينبغي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا

لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة او يتسمعوا
وقيل أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا
فحذفت ان واهدر عملها كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وفيه تعسف يجب
صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما
منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى
حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا
الاعلى) اى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم
سكان الارض (ويقذفون) يرمون بالشهب (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من
اى جهة صعد واللاستراق (دحورا) مفعول له اى ويقذفون للدحور وهو الطرد او مدحورين
على الحال اولان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون اوقذفا (ولهم
عذاب واصب) دائم من الوصوب اى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم فى
الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (الامن) فى محل الرفع بدل من الواو فى
لا يسمعون اى لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذى (خطف الخطفة) اى سلب السلبة
يعنى أخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) اى نجم رجم (ثاقب) مضىء
(فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (أهم أشد خلقا) اى أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى
خلقه شدة او أصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق
هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون (أم من خلقنا)
يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجىء بمن تغليبا
للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ أم من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم
من طين لازب) لاصق او لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من
الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه
تراب فمن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى
يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك (ويسخرون) هم
من تعجبك او عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث بل عجبتُ
حمزة وعلى اى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى
الاستعظام فى حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة او معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا
لا يذكرون) ودأبهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق
القمر ونحوه (يستسخرون) يستدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها او يبالغون فى السخرية
(وقالوا ان هذا) ما هذا (الا سحر مبين) ظاهر (أئذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمبعوثون) اى أنبعث اذا كنا ترابا وعظاما (اوآباؤنا) معطوف على محل ان
واسمها او على الضمير فى مبعوثون والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون

انهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل اوآباؤنا بسكون الواو مدنى وشامى اى أيبعث واحد منا على المبالغة فى الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما هى) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هى الا (زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل او الغنم اذا صاح عليهم (فاذاهم) أحياء بصراء (ينظرون) الى سوء أعمالهم او ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا يا ويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) اى اليوم الذى ندان فيه اى نجازى بأعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) اى وأشباههم وقرناءهم من الشياطين او نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير فى ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعى هديته فى الدين هدى وفى الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن أقوالهم وأفعالهم (ما لكم لا تنصرون) اى لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين فى الدنيا وقيل هو جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو فى موضع النصب على الحال اى ما لكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل بعضهم على بعض) اى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) اى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش اى انكم تحملوننا على الضلال وتقسروننا عليه (قالوا) اى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) اى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا او حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قوله * وقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فأغويناكم) فدعوناكم الى الغى (انا كنا غاوين) فأردنا اغواءكم لتكونوا أمثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) اى بالمشركين انا

مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامي وكوفي (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفي ومدني وكذا ما بعده أي لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (أولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (في جنات النعيم) يجوز أن يكون ظرفا وأن يكون حالا وأن يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز أبو عمرو وحمزة في الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) وصفت باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو ذات لذة (للشاربين لا فيها غول) أي لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف يُنْزِفون علي وحمزة أي لا يسكرون أو لا ينزف شرابهم من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أي نجلاء واسعة العين (كأنهن بيض مكنون) مصون شبههن ببيض النعام المكنون في الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فأقبل بعضهم) يعني أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على ما عرف في اخباره (قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك) بهمزتين شامي وكوفي (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل

ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار أو قال الله تعالى لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافيـة والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى ان هذه حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيـل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحـدثا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصـدر والاستثناء متصـل تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) أى الامر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو أيضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (أم شجرة الزقوم) أى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا أم شجرة الزقوم خـير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشـبه برؤس الشـياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مسـتقبح فى طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل الشـيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالؤن منها البطون) فمالؤن بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) أى على أكلها (لشوبا) خلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههـم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسـقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسـقون ماء هو أحر وهو الشراب المشوب بالحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى ان يمتلئوا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد

كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أنبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) أى الا الذين آمنوا منهم وأخلصوا الله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين ولما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين أيس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة ونصرناه على أعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فى العالمين) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزى المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بأنه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الانبيان هود وصالح (اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك ومن آفات القلوب لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجىء بقلبه ربه انه أخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجىء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) أئفكا مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا به أى أتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على أنها افك فى نفسها أو حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) أى شىء ظنكم (برب العالمين) وأنتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف

يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم أنه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال أو أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم أنه استدل بامارة على أنه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه أحد ففعل بالاصنام ما فعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام أى سأسقم أو من الموت فى عنقه سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح من الموت فى عنقه أو أراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقال أنا مريض القلب من كذا (فتولوا فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عنده طعام (مالكم لا تنطقون) والجمع بالواو والنون لما أنه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) أى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما أو بالقوة والمتانة أو بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يُزِفون حمزة من أزف اذا دخل في الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها و بعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا با آلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ما تنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أو ما مصدرية أى وخلق أعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق أعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فارادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى و يعصمنى و يوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ أوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى

لان صلة المصدر لاتتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع أبيه وكان اذذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يابني) حفص والباقون بكسر الياء (اني أرى في المنام أني أذبحك) و بفتح الياء فيهما حجازي وأبو عمرو وقيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر (فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لامن رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم أيجزع أم يصبر تُرِي على وجزة أي ماذا تبصر من رأيك وتبديه (قال ياأبت افعل ماتؤمر) أي ماتؤمر به وقرئ به (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى أن الذبيح قال لابيه ياأبت خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتى لاأوذيك اذا أصابتني الشفرة ولاتذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى ان ترحمني واجعل وجهي الى الارض ويروى اذبحني وأنا ساجد واقرأ على أمي السلام وان رأيت ان ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي ياابراهيم قد صدقت الرؤيا روي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي حققت ماأمرناك به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان مما ينطق به الحال ولايحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما على ماأنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله أو الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتخويل ماخولهما من الفرج بعد الشدة (ان هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو مايذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل وعنه لوتمت تلك الذبيحة لسارت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وروى أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لااله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة والاظهر أن الذبيح اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه السلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك ان عبد

المطلب نذران بلغ بنوه عشرة ان يذبح آخر ولده تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الابل ولان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت في زمن الحجاج وابن الزبير وعن الاصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى منه لانه الآمر بالذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وههنا اشكال وهو أنه لا يخلو اما أن يكون ما أتى به ابراهيم عليه السلام من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فان كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو التخليص من الذبح ببدل وان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم يصح والجواب أنه عليه السلام قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا أن المحل الذي أضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب في آخر الحال على ان المبتغى منه في حق الولد أن يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمي فداء في الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه في الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزي المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي وبشرناه بوجود اسحق نبيا أي بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبي لا بد وأن يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) أي أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في أولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر أو محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه لا على

ماوجدمن أصله وفرعه (ولقدمننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بنى اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق أومن سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانواهم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركناعليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى وقيل هو ادريس النبى عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وان ادريس فى موضع الياس (اذقال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (أتدعون) أتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشأم وقيل فى الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بنصب الكل عراقى غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ال ياسين) أى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله بن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم أبى الياس فاضيف اليه الآل (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشأم ليلا ونهارا أفما فيكم عقول تعتبرون بها وانما لم يختم قصة لوط و [illegible] كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم [illegible]
السورة [illegible] (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه [illegible] فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله (فساهم) فقارعهم مرة أوثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة

(فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل فى الملامة (فلولا انه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح أو من القائلين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أو من المصلين قبل ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة ويقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث فى بطنه ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين يوما وعن الشعبى التقمه ضحوة ولفظه عشية (فنبذناه بالعراء) فالقيناه بالمكان الخالى الذى لا شجر فيه ولا نبات (وهو سقيم) عليل مما ناله من التقام الحوت وروى انه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد (وأنبتنا عليه شجرة) أى أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان (من يقطين) الجمهور على انه القرع وفائدته أن الذباب لا يجتمع عنده وانه أسرع الاشجار نباتا وامتدادا وارتفاعا وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به القوم الذين بعث اليهم قبل الالتقام فتكون قد مضمرة (أو يزيدون) فى مرأى الناظر أى اذا رآها الرائى قال هى مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك (فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) الى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا الله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول لمحضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا

عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون براء من أن يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما أنتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون أحدا الا أصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وقال الحسن فانكم أيها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما أنتم على عبادة الاوثان بمضلين أحدا الا من قدر عليه أن يصلى الجحيم أى يدخل النار وقيل ما أنتم بمضلين الا من أوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما أنتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه أن يكون جمعا فحذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (وما منا) أحد (الا له مقام معلوم) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه (وانا لنحن الصافون) نصف أقدامنا فى الصلاة أو نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانا لنحن المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الا من كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه ثم ذكر تكذيب المشركين (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم

الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقام الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبى فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فاعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ماينالهم يومئذ (فسوف يبصرون) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد أو انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما أنكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قبل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام فى المنذرين مبهم فى جنس من أنذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهى اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد انه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿سورة ص مكية وهى ثمان وثمانون آية كوفى وتسع بصرى وست مدنى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال (والقرآن ذى الذكر) أى ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على أنه اسم للسورة كانه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وقوله (حين مناص) منجا منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما أن النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل اللجلج وروى ان عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش [illegible] ون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا [illegible] علمت ما فعل هؤلاء [illegible] خلوا الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء ولا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسألوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أتعطوننى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا أى أصيران هذا الشئ عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب ما لا مثل له (وانطلق الملأ منهم أن امشوا)

وانطلق أشراف قريش عن مجلس أبي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وان بمعنى أي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا و يتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا) الامر (لشيء يراد) أي يريده الله تعالى و يحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو أن هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم و ينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم في شك من ذكري) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أي انهم لايصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعني ماهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و يترفعوا بها عن محمد وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الـكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي يقسمها على ماتقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة (فليرتقوا في الاسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله و ينزلوا الوحي الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أو الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدأ (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلاتبال عما يقولون ولاتكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الاوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد في يديه و رجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) [illegible] بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم [illegible] وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا [illegible] الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية [illegible] وبين المكذب وهم

الرسل وذكران كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان فى تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وابلغه ثم قال (فحق عقاب) أى فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابى وعقابى فى الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الاصيحة واحدة) أى النفخة الاولى وهى الفزع الاكبر (مالها من فواق) وبالضم حمزة وعلى أى مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب أى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب وأصل القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم (واذكر عبدنا داود) وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من عتاب الله ما لقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين وما يدل على ان الايد القوة فى الدين قوله (انه أواب) أى رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لذى الايد وروى انه كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (انا سخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) فى معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال (بالعشى والاشراق) أى فى طرفى النهار والعشى وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه

(وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل الكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز أن يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على رضى الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبى هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم فى الامر الذى له شان يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر فى الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد (اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روى ان الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب فى غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وارشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روى ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة فى المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحى ان يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته ان خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب أن يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وقال على رضى الله عنه من حدثكم بحديث داود عليه السلام على

مابر ويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها واعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ماذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا أخي) هو بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) ولي حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع ان يفرض الملائكة في أنفسهم كما تقول لي أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها ومالكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجعلها كفلي أي نصيبي (وعزني) وغلبني يقال عزه ويعزه (في الخطاب) في الخصومة أي انه كان أقدر على الاحتجاج مني وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني ووجه التمثيل ان مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفي ذلك [illegible] لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد [illegible] الاضافة [illegible] نعجتك الى نعاجه على [illegible] السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعدما اعترف به [illegible] في القرآن لانه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد ان آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) أي علم وأيقن وانما استعير له لان الظن الغالب يداني العلم (أنما فتناه) ابتليناه

(فاستغفر ربه) لزلته (وخر راكعا) أي سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على أن الركوع يقوم مقام السجود في الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع في الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع في غير الصلاة (وأناب) ورجع الى الله بالتوبة وقيل انه بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع (فغفرنا له ذلك) أي زلته (وان له عندنا لزلفى) لقربة (وحسن مآب) مرجع وهو الجنة (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أي استخلفناك على الملك في الارض أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أي بحكم الله اذ كنت خليفته أو بالعدل (ولا تتبع الهوى) أي هوى النفس في قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي بنسيانهم يوم الحساب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوي باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه أي ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض وما بينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة في خلق العالم (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد انه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعني القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا قرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على ما فيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولوا العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أي سليمان وقيل داود وليس بالوجه والمخصوص بالمدح محذوف (انه أواب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أي كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ

عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون فى الهجان وانما هو فى العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا بالله فبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) أى آثرت حب الخيل عن ذكر ربى كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال أبو على أحببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أى المال مفعول له مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذى دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام (ردوها على) أى قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلى العصر فردت الشمس له وصلى العصر أو ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا أى يمسح السيف بسوقها وهى جمع ساق كدار ودور وأعناقها يعنى يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها أو شكرا لرد الشمس وكانت الخيل ماكولة فى شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (ولقد فتنا سليمان) ابتليناه (وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسدا ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله أو نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه فى السحابة خوفا من مضرة الشياطين فألقى ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته فى ان لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجىء به على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل

اليهود (قال رب اغفرلي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الأنبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لاحد من بعدي) أي دوني وبفتح الياء مدني وأبو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات (انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح أبو جعفر (تجري) حال من الريح (بأمره) بأمر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وهو حال من ضمير تجري (حيث) ظرف تجري (أصاب) قصد وأراد والعرب تقول أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح أي سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ماشاء من الابنية (وغواص) أي ويغوصون له في البحر لاخراج اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين (وآخرين) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل (مقرنين في الاصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعط منه ماشئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان اذا أعطى اجر وان منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال اي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق او امسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لاحساب عليك في ذلك (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم ان والخبر له والعامل في عند الخبر (واذكر عبدنا ايوب) هو بدل من عبدنا او عطف بيان (اذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أني مسني) باني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولم يحك لقال بانه مسه لانه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يريد تثقيل نصب بنصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر هبيرة و ... و ... وهو التعب والمشقة (وعذاب) يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان أن الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا اليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الارض وهي أرض الجابية فضرب بها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد

وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره و باطنه باذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى باعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لاولي الالباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحدة من المائة والسبب في يمينه انها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء ثم قد شكا الى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم أنه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) أيوب (انه أواب واذكر عبادنا) عبدنا مكي (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا تتأتى فيه المباشرة بالايدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى هذا ورد قوله (أولي الايدي والابصار) أي أولي الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يتفكرون أفكار ذوي الديانات في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا أخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى في محل النصب أو الرفع باضمار أعني أو هي أو الجر على البدل من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعني جعلناهم لنا خالصين بان جعلناهم يذكرون الناس الدار الآخرة ويزهدونهم في الدنيا كما هو ديدن الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدني ونافع وهي من اضافة الشيء الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف الى المفعول أي [illegible] بمعنى خلوص فهي مضافة الى الفاعل أي بان خلصت

لهم ذكرى الدار على انهم لايشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لاغير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل مايذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كأموات فى جمع ميت أو ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل) التنوين عوض عن المضاف اليه أى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها مافى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو أبوابها الا ان الاول أجود أو هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) أى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) أى قصرن طرفهن على أزواجهن (أتراب) لدات أسنانهن كأسنانهم لان التحاب بين الاقران أثبت كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ماتوعدون) وبالياء مكى وأبو عمرو (ليوم الحساب) أى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدأ محذوف أى الامر هذا أو هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ماتحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدأ وحميم خبره وغساق عطف على الخبر فليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف مايغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى أى ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (أزواج) صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له

مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء
السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) أى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء
عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم
صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم)
أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقوله (أنتم قدمتموه لنا) والضمير
للعذاب أو لصليهم أى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا)
أى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا
ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله
(وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لا نرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا
نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم
سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا مثل كنا نعدهم من الاشرار
وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على أنفسهم فى الاستسخار منهم سُخريا مدنى وحمزة
وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى
مالنا لا نراهم فى النار كانهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم
بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان
ذلك) الذى حكيناعنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لا بد أن يتكلموا به ثم بين ماهو
فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما
يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم
لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد
لمشركى مكة (انما أنا منذر) ما أنا الا رسول منذر أنذركم عذاب الله تعالى (وما من إله
الا الله) وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن تعتقدوا أن لا إله الا الله (الواحد) بلا
ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك
والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ
اليه (قل هو) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك
له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (أنتم عنه معرضون) غافلون
(ما كان لى) حفص (من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ
به عن الملا الاعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى
يسلكه الناس فى علم مالم يشاهدوا وهو الاخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم
يحصل له الا بالوحى من الله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) أى لانما أنا نذير
مبين ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن
يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو ان أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر الا بهذا

الامر وحده وليس لي غير ذلك وبكسر انما يزيد على الحكاية أي الا هذا القول وهو ان أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيأ آخر وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن وعن الحسن يوم القيامة والمراد بالملا الاعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم واذ يختصمون متعلق بمحذوف اذ المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم (اذ قال ربك) بدل من اذ يختصمون أي في شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة اني خالق بشرا من طين) وقال اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحي) الذي خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى أحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أي اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله أو كان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا انهم سجدوا عن آخرهم جميعهم في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الامر (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد) ما منعك عن السجود (لما خلقت بيدي) أي بلا واسطة امتثالا لامري واعظاما لخطابي وقد مر ان ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدي (أستكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات أو من الخلقة التي أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم أي مطرود تكبر ابليس أن يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتي) بفتح الياء مدني أي ابعادي من كل خير (الى يوم الدين) أي [illegible] عليك اللعنة الى يوم الدين ثم تنقطع لان من عليه اللعنة في الدنيا [illegible] فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة في الدنيا وهي دار رحمة فأولى أن تكون

عليه فى غير أوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرنى) فامهلنى (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى هو وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) اى أقسم بعزة الله وهى سلطانه وقهره (الا عبادك منهم المخلصين) وبكسر اللام مكى وبصرى وشامى (قال فالحق) بالرفع كوفى غير على على الابتداء اى الحق منى اوعلى الخبر اى أنا الحق وغيرهم بالنصب على انه مقسم به كقوله الله لأفعلن كذا يعنى حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لأملأن (والحق أقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب بأقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عزوجل الذى فى قوله ان الله هو الحق اوالحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لأملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (أجمعين) اى لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا (قل ماأسئلكم عليه من أجر) الضمير للقرآن اوللوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وماعرفتمونى قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (ان هو) ماالقرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين اوحى الىّ فأنا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالا ينال ويقول مالا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت ويوم بدر ويوم القيمة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

﴿سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية﴾

تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى) مصدر أى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيماهم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فمالكم تعبدون الاصنام قالوا مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لايهدى من هو كاذب كفار) أى لايهدى من هو في علمه أنه يختار الكفر يعنى لايوفقه للهدى ولايعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لوأراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء) أى لوجاز اتخاذ الولد على ماتظنون لاختار مما يخلق مايشاء لاماتختارون أنتم وتشاؤن (سبحانه) نزه ذاته عن أن يكون له أخذ مانسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى انه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لايشارك قهار لايغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ماغيبه عن مطامح الابصار أوان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) أى يوم القيامة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) أى جعل عن الحسن أو خلق في الجنة مع آدم [illegible] ثم أنزلها أو لانها لاتعيش الا بالنبات والنبات لايقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها (ثمانية أزواج) ذكر وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز كما بين في سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر واذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) [illegible] علقة [illegible] الى تمام الخلق (في ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة [illegible] الصلب و[illegible] (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو الله [illegible] فأنى تصرفون) [illegible] بقوله (ان تكفروا فان الله غنى [illegible] الكفر [illegible] الايمان (ولا يرضى [illegible] الله تعالى وان كان

بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضهُ بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم يرضهْ (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يؤاخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس الانسان) هو أبو جهل أو كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسى ما كان يدعوا اليه من قبل) أى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) أمثالا (لِيُضل) لِيَضل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) أى الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أى فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن (هو قانت) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قانت (يحذر الآخرة) أى عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) أى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لا عمله ويحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون أمنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب أن لا يجاوز أحدهما حده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث [illegible] أولو [illegible] أى كما لا يستوى [illegible]

[illegible] وعظ الله أولو العقول (قل يا عباد الذين آمنوا [illegible] ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول [illegible] حسنة لا توصف وقد علقه [illegible] بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية [illegible] (وأرض الله واسعة) أى لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأنهم لا يتمكنون [illegible] على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى

بلاد أخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى أمرت ان أعبد الله) بان أعبد الله (مخلصا له الدين) أى أمرت باخلاص الدين (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل ان أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن أخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك أن كفار قريش قالوا له عليه السلام الا تنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مأمور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم أضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به [illegible] (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) [illegible] الاشتمال من الطاغوت أى عبادتها (وأنابوا) رجعوا (الى الله لهم [illegible] بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت [illegible] الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم [illegible] أن يكونوا مع

الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكي وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوديه بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو

وتسألنى تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل
فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبران الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفانى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أى انك واياهم فى عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) أى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا واجتهدت فى الدعوة فلجوا فى العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضى الله عنهم جميعا ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبى العالية نزلت فى أهل القبلة وذلك فى الدماء والمظالم التى بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام فى للكافرين اشارة اليهم (والذى جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى (أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق ... روى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق

به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز أو اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ويجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون) اضافة أسوأ وأحسن من اضافة الشئ الى ماهو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) أى محمدا صلى الله عليه وسلم عباده حمزة وعلى أى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين (ويخوفونك بالذين من دونه) أى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم أعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خلق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (أو أرادنى برحمة) صحة أو غنى أو نحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فامر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر أو برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما أفحمهم قال الله تعالى (قل حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبوديهم (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما استعارهنا وحيث للزمان وهما للمكان (انى عامل) أى على مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه ... عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى

دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن ضل فانمـا يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ماهى به حية حساسة دراكة (والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها اى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك) الانفس (التى قضى) قضىَ حمزة وعلى (عليها الموت) الحقيقى اى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى اجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس اى يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى المنام هى نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبير ان أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى ان أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه (ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) اى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (ثم اليه ترجعون) متصل بمـا يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده اى اذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم (اشمأزت) اى نفرت وانقبضت

(قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعني آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه والعامل في اذا ذكر هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أي يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (أنت تحكم) تقضي (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعي عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه (ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط في حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيآت وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أي سيآت أعمالهم التي كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أي أعطيناه تفضلا يقال خولني اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) مني أني سأعطاه لما فيّ من فضل واستحقاق أو على علم مني بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندي وانما ذكر الضمير في أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما في انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أي ان الذي أوتيته على علم (بل هي فتنة) انكار له كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة أي ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعني فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في [illegible] بالواو أن هذه وقعت سببية عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت [illegible] من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس أحدهم [illegible] بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآي [illegible] الاعتراض أن

يؤكد المعترض بينه و بينه قلت مافى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ماعقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم و رجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى و بين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولو ان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وماهى الاجملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو و بيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكانهم قالوها و يجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ومايجمعون منها (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وماهم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لاقابض ولاباسط الا الله عز وجل (قل ياعبادى الذين) و بسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لا تقنطوا) لاتيأسوا و بكسر النون على و بصرى (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظيره نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب ان لى الدنيا ومافيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لاتخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر و يجوز ان يراد نفس

مقيزة من الانفس امابلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير (ياحسرتى) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه (على مافرطت) قصرت ومامصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) فى أمر الله أوفى طاعة الله أوفى ذاته وفي حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أوتقول لوأن الله هدانى) أى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك (أوتقول حين ترى العذاب لوأن لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه كأنه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك و بلى جواب لنفى تقديرى لان معنى لوأن الله هدانى ماهديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لايجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفى الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة فى محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية [illegible] فمفعول ثان (أليس فى جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى [illegible] (وينجى الله) وينجى روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) [illegible] اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لايمسهم السوء [illegible] ولاهم يحزنون) كانه قيل ومامفازتهم فقيل لايمسهم السوء أى ينجيهم بنفى [illegible] أى لايمس

أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها مقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على أن كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمرونني على الاصل شامي تأمروني مدني وانتصب أفغير الله بأعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (أيها الجاهلون) بتوحيد الله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذي عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على

ماأنعم به عليك من ان جعلك سيد ولد آدم (وماقدروا الله حق قدره) وماعظموه حق عظمته اذدعوك الى عبادة غـيره ولما كان العظم من الاشياء اذاعرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيـل وماقدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لاغير من غير ذهاب بالقبضـة ولا باليمين الى جهة حقيقة أوجهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضـة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لايبلغن الاقبضـة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان أى لايفى الا باكلة فذة من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار مايقبضه بكف واحـدة والمطويات من الطى الذى هو ضـد النشر كما قال يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضـته ملكه بلامدافع ولا منازع وبيمينـه بقدرته وقيـل مطويات بيمينـه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء (ونفخ فى الصور فصعق) مات (من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله) أى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيـل هم حملة العرش أو رضوان والحور العـين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هى فى محل الرفع لان المعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيـه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معـلومة بذكرها فى غير مكان (فاذاهم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على أن النفخة اثنتان الاولى للموت والثانيـة للبعث والجمهور على أنها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانيـة للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الارض) أضاءت (بنوربها) أى بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسـطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عـدله وينصب فيها موازين قسـطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العـدل ولا أعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز أن يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الـكتاب)

أى [illegible] الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار فى كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفى الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أى ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد فى شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال أى أفواجا متفرقة بعضها فى أثر بعض (حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفى (أبوابها) وهى سبعة (وقال لهم خزنتها) أى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) أى ولكن وجبت علينا كلمة الله لأملأن جهنم بسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس و بئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم و يشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على انه شىء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها فعندهم جاؤها محذوف والمعنى حتى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين أى لم تكونوا أصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله [illegible] لا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها [illegible] أنجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا

الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) أي يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ أي فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم أجر العاملين) في الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) أي محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أي ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير في حافين (بحمد ربهم) أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكاليف (وقضي بينهم) بين الانبياء والامم أو بين أهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي يقول أهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

الحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضي الله عنهما

﴿سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) وما بعده بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم (تنزيل الكتاب) أي هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أي المنيع بسلطانه عن أن يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذي الطول) ذي الفضل على العارفين أو ذي الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب أخوات في معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه وأما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها أبدال غير أوصاف وادخال [illegible] وقابل التوب لنكتة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن [illegible] تكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب [illegible] وتقوى وروى ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد [illegible] الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان [illegible] اليك الله الذي لا اله الا

هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب قال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه (لا إله الا هو) صفة أيضا الذي الطول ويجوز أن يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد أهل الزيغ بها فاعظم جهاد في سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة أمرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم أهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح (وهمت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير (وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) مظهر مكي وحفص يعني انهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذ الرسل ان أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب اى فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدني وشامي (أنهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك اى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من أصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش ومن حوله) يعني حاملي العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر روى ان حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر (يسبحون) خبر

المبتدا وهو الذين (يحمد ربهم) أى مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمدلة (ويؤمنون به) وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن (ربنا) أى يقولون ربنا وهذا المحذوف حال (وسعت كل شئ رحمة وعلما) والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى اذ الاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز مبالغة فى وصفه بالرحمة والعلم (فاغفر للذين تابوا) أى للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا سبيلك) أى طريق الهدى الذى دعوت اليه (وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم) من فى موضع نصب عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من آبائهم (وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك (وقهم السيآت) أى جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك) أى رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أى يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أى لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذ اوقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أى يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لان قوله لمقت الله مبتدأ وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم أنفسكم فلا يعمل فى اذ تدعون لان المصدر اذا أخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شئ يكون فى صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثانى لاختلاف الزمانين لانهم مقتوا أنفسهم فى النار وقد دعوا الى الايمان فى الدنيا (فتكفرون) تصرون على الكفر (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد

بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح ان يسمى خلقهم أمواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع أحد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى فى الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى فى الدنيا والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه فى القبر بعد موته للسؤال والثانى للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء (من سبيل) قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) شأنه فلا يرد قضاؤه (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه كلمة حق أريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم أو اخبار مبتدإ محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض أو رافع درجات [illegible] أو رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه [illegible] مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام أو الوحى الذى تحيا به القلوب (من أمره) من أجل أمره أو بأمره (على من يشاء من عباده لينذر) أى الله أو الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل أو أكمة أو بناء (لا يخفى على الله منهم شىء) أى من أعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم)

أى يقول الله تعالى ذلك حين لا أحد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت و ينتصب اليوم بمدلول لمن أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت فى الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لازوفها أى لقربها و يبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) أى التراقى يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا و يتروّحوا (كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع يطاع) أى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما فى قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد به نفى الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) وما تسره من أمانة وخيانة وقيل هو أن ينظر الى أجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه فى جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله و يعلم خائنة الاعين خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم آياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) أى والذى هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء) وآلهتهم لا يقضون بشىء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون و يبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) اى آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة فى انه لا تدخله الالف واللام فأجرى مجراه منكم شامى (وآثارا فى الارض) أى حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله (ذلك بأنهم) أى الاخذ بسبب انهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم

الله انه قوى) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع أعاده عليهم غيظا وظنا منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذرونى أقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس بانه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى أخاف) ان لم أقتله (ان يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (أوأن يظهر) موسى (فى الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول أولى لموافقة يبدل والفساد فى الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير أهل الكوفة وأن ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما أجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله وربكم بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولدت اخوان وعت بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم

أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أوحبيب أوخربيل أوحزبيل والظاهر الاول (أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة ومالكم علة فى ارتكابها الا كلمة الحق وهى قوله (ربى الله) وهو ربكم أيضا لاربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعنى أنه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لايخلو من أن يكون كاذبا أوصادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبى صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابة الكل فكانه قال لهم أقل ما يكون فى صدقه أن يصيبكم بعض مايعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لايهدى من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) فى ادعائه وهذا أيضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه أولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم فى لكم (فى الارض) فى أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أى عذابه فانه لاطاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ماأريكم الاماأرى) أى ماأشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لاأستصوب الاقتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وماأهديكم) بهذا الرأى (الاسبيل الرشاد) طريق الصواب والصلاح وماأعلمكم الا ماأعلم من الصواب ولاأدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ماأظهر يعنى ان لسانه وقلبه متواطئان على مايقول وقد كذب فقد كان مستشعر اللخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دما[illegible] على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكـ[illegible] المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولابد من حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثانى بانه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد [illegible]) أى وما يريد

الله أن يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب أو يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعني أن تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بأنه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن أظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أي يوم القيامة التنادي مكي ويعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآي على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل ينادي مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر ووبخهم بان يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم في شك مما جاءكم به) وشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي أقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو عمرو وابن ذكوان وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه أو جهلا منه (يا هامان ابن لي صرحا) أي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر (لعلي) وبفتح الياء حجازي وشامي وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم أبدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) أي طرقها وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أداك الى الشيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي

فشبه الترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على أبلغ (الى اله موسى) والمعنى فأنظر اليه (وانى لأظنه) أي موسى (كاذبا) في قوله له اله غيرى (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفي ويعقوب أى غيره صدا أوهو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أوالله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسران وهلاك (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون) اتبعونى فى الحالين مكى ويعقوب وسهل (أهدكم سبيل الرشاد) وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ماعليه فرعون وقومه سبيل الغي أجمل أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله (ياقوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الآخرة وبين انها هي الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هي دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكى وبصرى ويزيد وأبو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله (وياقوم مالى) وبفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أدعوكم الى النجاة) أى الجنة (وتدعونني الى النار تدعونني لأكفر بالله) هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ماليس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم الها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثانى لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته (أن ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) معناه ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية أو معناه ليس له استجابة دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء فى قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) [illegible] اليه (وأن المسرفين) وان المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون [illegible]) أى من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) وأسلم (أمرى) [illegible] (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) [illegible] (فوقاه الله سيئات

ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أى فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا فى الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدنى وحمزة وعلى وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر (واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفؤا للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (انا كنا لكم تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أى انا كلنا فيها لا يغنى أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) أى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة (أولم تك) أى أولم تاك قصة وقوله (تأتيكم رسلكم) تفسير للقصة (بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أى الكفار (بلى قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك فى أمس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الانبياء والحفظة فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم لا أى لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفى ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى

به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أى تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال (لاولى الالباب) لذوى العقول (فاصبر) على مايجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعنى ان ماسبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) أى لذنب أمتك (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا العصر والفجر وقيل قل سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) لاوقف عليه لان خبر ان (ان فى صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ماسبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجىء اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لماتقول ويقولون (البصير) بماتعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم فى آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لانهم لايتأملون لغلبة الغفلة عليهم (ومايستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء) لازائدة (قليلا ماتتذكرون) تتعظون بتاءين كوفى وبياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أى تذكرا قليلا يتذكرون وماصلة زائدة (ان الساعة لآتية لاريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها (وقال ربكم ادعونى) اعبدونى (أستجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو بكر (داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار وقرن بين المفعول له والحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد

المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج اى ساكن لا ريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فانى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق افك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فأحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل (قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى) هى القرآن وقيل العقل والوحى (وأمرت أن أسلم) أستقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذى خلقكم) أى أصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكى وحمزة وعلى وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) اى من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أى فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون) ذكر الجدال فى هذه السورة فى ثلاثة مواضع فجاز أن يكون فى ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) القرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال كقوله فسوف يعلمون وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر فى أعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل فى أعناقهم (يسحبون فى الحميم) يجرون فى الماء الحار (ثم فى النار

يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أي تبين لنا انهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادقوا أو كما أضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) العذاب الذي نزل بكم (بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل الا ترى انك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك (بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعني انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية الا باذن الله فمن أين لي بان آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) أي يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذي جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) أي الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) أي لتبلغوا عليها ما تحتاجون [illegible] من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) أي على [illegible] لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (ويريكم آياته فأي [illegible]) انها ليست من عند الله وأي نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة [illegible] آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير [illegible] نحو حمار وحمارة

غريب وهي في أي أغرب لابهامه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثرمنهم) عددا (وأشد قوة) بدنا (وآثارا في الارض) قصورا ومصانع (فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به أو علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل أي الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أي فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) أن الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثرمنهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله أعلم

﴿سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبره وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدإ المحذوف وكتاب بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف أو تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من

صفته كيت وكيت أو على الحال أى فصلت آياته فى حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل أو بفصلت أى تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ماقبله ومابعده أى قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآنا (وأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) أغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وماهم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى ابطال أمرك وفائدة زيادة من أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه أنه قال لهم انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وأنا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى أن الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى مايسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها أو لا يفعلون مايكونون به أزكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب شئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وماخدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم ومالرتدت بنوحنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا [illegible] أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين) الاحد والاثنين [illegible] يخلقها فى لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء وأشباها (ذلك [illegible] ماسبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل [illegible] رواسى) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض [illegible] منافع الجبال ظاهرة

لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عزوجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) فى الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد فى عشرة والى الكوفة فى خمسة عشر أى تتمة خمسة عشر ولابد من هذا التقدير لانه لو أجرى على الظاهر لكانت ثمانية أيام لانه قال خلق الارض فى يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام ثم قال فقضاهن سبع سموات فى يومين فيكون خلاف قوله فى ستة أيام فى موضع آخر وفى الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك أربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التى تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام أى فى أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد أى هى سواء غيرهما سواء على المصدر أى استوت سواء أى استواء أو على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله أو بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما أراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه أكمل الاول وابتدأ الثانى ويفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه انه قال أول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد أرضا والدخان سماء ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه أراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى عليه أن تأتيا من التشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وقوله طوعا أو كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين [illegible] على اللفظ أو طائعات على المعنى لانهما سموات وأرضون [illegible] وصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى

موضع طائعات كقوله ساجدين (فقضاهن) فاحكم خلقهن قال
* وعليهما مسرودتان قضاهما * والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز أن
يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات
ان الاول على الحال والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (وأوحى فى
كل سماء أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك (وزينا السماء
الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة
بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور
(فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة)
عذابا شديد الوقع كانه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل
من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم
الا الاعراض وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة
(أن) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بانه (لا تعبدوا الا الله قالوا) أى القوم (لو شاء
ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه
فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله أرسلتم به ليس باقرار
بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم
لمجنون وقولهم فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا
الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عتبة بن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فاتاه وهو فى الحطيم فلم يسأل شيأ الا أجابه ثم قرأ عليه
السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة
أن يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر
ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت أما فهمت منه كلمة فقال لا ولم أهتد الى جوابه [illegible]
مطعون ذلك والله لتعلمن انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال
(فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق) أى تعظموا [illegible] بما لا يستحقون به
التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من
أشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع
الصخرة من الجبل بيده (أولم يروا) أولم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذى خلقهم
هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض [illegible]
باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أى كا[illegible]
ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فأرسلنا عليهم ريحا [illegible]
أى تصوت فى هبوبها من الصرير أو باردة تحرق بشدة بردها [illegible]
قيل انها الدبور (فى أيام نحسات) مشئومات عليهم [illegible] وأربعاء نحس

نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على أنه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيء ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم (وأما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ أبو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تمحل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحشر أعداء نافع ويعقوب (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كففته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم

كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذى أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم والذى ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان اوظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم) اى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين اوان يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) اى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان اى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) اى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها اوما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم اى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (قد خلت من قبلهم) قبل أهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) اى أعظم عقوبة على أسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء أعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء اوخبر مبتدإ محذوف (لهم فيها دار الخلد) اى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) اى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) وبسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر وبالاختلاس أبو عمرو (الذين أضلانا) اى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) فى النار جزاء اضلالهما ايانا [illegible] الله)
أى نطقوا التوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال [illegible] فيها [illegible] قال

جاءتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (ان) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بانه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ماتقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا وقال محمد بن على الترمذى تتنزل عليهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التى كنتم توعدون فى سالف الزمان (نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ماتدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة أو من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا (وقال اننى من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام أو المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن) يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى احسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ [illegible] بالتى هى أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتى هى [illegible] وهى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون ابلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما

ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جدجده أوأريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أولتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير فى خلقهن للآيات او الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى اوالاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) اى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا الواسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسئمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على [illegible] صروره (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا الطعن يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذ كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير ام من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر) [illegible] لانهم لكفرهم به طعنوا به وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم [illegible] اى يعذبون اوهالكون اواولئك ينادون من مكان بعيد وما [illegible] عزيز) اى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) [illegible] من بين يديه ولا من خلفه) اى بوجه من الوجوه [illegible] مستحق للحمد

(مايقال لك) مايقول لك كفار قومك (الاماقد قيل للرسل من قبلك) الامثل ماقال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن فى الكتب المنزله (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه (وذوعقاب أليم) لاعدائهم ويجوز ان يكون مايقول لك الله الامثل ماقال للرسل من قبلك والمقول هوقوله ان ربك لذومغفرة وذوعقاب أليم (ولو جعلناه) اى الذكر (قرآنا اعجميا) اى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل فى جوابهم لوكان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) اى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أأعجمى وعربى) بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لانكروا وقالوا أقرآن أعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى الذى لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم او العرب والعجمى منسوب الى أمة العجم فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ان آيات الله على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم وفيه اشارة على انه لوأنزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) اى القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشاد الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) فى موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا اى هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر أى صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش او الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا او فى آذانهم منه وقر (وهو) اى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعنى انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كانهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون فى القيامة من مكان بعيد بأقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك فى كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير العذاب (لقضى بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفى شك منه مريب) موقع [illegible] فنفسه نفع (ومن أساء فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام [illegible] اليه يرد علم الساعة) اى علم قيامها يرد اليه اى يجب على [illegible] (وما تخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من أكمامها) اوعيتها قبل ان تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى حملها (ولا تضع الا بعلمه) اى ما يحدث شىء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة [illegible] والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على

زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) أعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاخبار للعالم بالشئ فيتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه (مامنا من شهيد) اى مامنا أحد اليوم يشهد بأن لك شريكا وماملنا الا من هو موحد لك اومامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى مامنا من شهيد يشهد بما أضافوا الينا من الشركة (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وأيقنوا (مالهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وماأظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض اوسعة بعد ضيق قال هذا لى اى هذا حقى وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر اوهذا لى لا يزول عنى (وماأظن الساعة قائمة) اى ماأظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) اى الجنة او الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ماعملوا من الاعمال الموجبة للعذاب (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفتر عنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه اوذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه ان يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثير اى أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض للكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة

فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول فى قوم والثانى فى [illegible]

وذو دعاء عريض فى البحر اوقنوط بالقلب ذو دعاء عريض [illegible]

دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن [illegible]

به) ثم جحدتم انه من عند الله (من أضل) [illegible] (ممن هو فى شقاق

بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفى أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) اى القرآن او الاسلام (اولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد اى اولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (ألا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

﴿ سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة (كذلك يوحى اليك) اى مثل ذلك الوحى اومثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا أوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل [illegible] يوحى [illegible] قيل من أوحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شأنه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن [illegible] من فوقهن اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس ان يقال [illegible] التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه [illegible] فى جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء أطا وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (ويستغفرون [illegible]) اى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون للذين آمنوا [illegible]

سطواته أو يوحدون الله ويبرئونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم
من الطافه متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمني أهل الارض
الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب
(ألا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أي جعلوا له شركاء وأندادا
(الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت)
يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولا مفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك)
ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا أنت
بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله في كتابه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من
المفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين (لتنذر أم القرى) أي مكة لان الارض
دحيت من تحتها ولانها أشرف البقاع والمراد أهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر
يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال أنذرته
كذا وأنذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول
الثاني (فريق في الجنة وفريق في السعير) اي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير
والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) اي
مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون)
والكافرون (ما لهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو
الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا أولياء بحق فالله
هو الولي بالحق وهو الذي يجب ان يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل
شئ قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفتكم فيه الكفار من أهل الكتاب
والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين (فحكمه) اى حكم ذلك المختلف
فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم
بينكم (الله ربي عليه توكلت) فيه رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) أرجع في كفاية
شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم
الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على انه
أحد أخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم
من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) اى وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا
(يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) في هذا التد[illegible]
الناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد [illegible]
لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير [illegible] الى
المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب [illegible] (ليس كمثله شئ)

قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفي التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهوشئ كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفي المثلية واذا لم تجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفي البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ و بين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا أذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكأنه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر في الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يضيق (انه بكل شئ عليم شرع) بين واظهر (لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه و بيوم الجزاء وسائر مايكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه اورفع على الاستئناف كانه قيل وماذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وما تفرقوا) اى أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من بعد ماجاءهم العلم) الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهى الساعة موعدهم (لقضى بينهم) لاهلكوا حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفى شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل فى الريبة وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون ... القرآن من بعد ما اورث أهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك

التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما أمرت) كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) بأى كتاب صح أن الله تعالى انزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لأعدل بينكم) فى الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الىّ (الله ربنا وربكم) أى كلنا عبيده (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) هو كقوله لكم دينكم ولى دين ويجوز أن يكون معناه انا لا نؤاخذ بأعمالكم وأنتم لا تؤاخذون بأعمالنا (لا حجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم (والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان أنزله فى زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدرى والمراد مجىء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل أن يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لفى ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه [illegible] جزاء (الله لطيف بعباده) فى ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه [illegible] بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف [illegible] وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب [illegible] العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف [illegible] بأعدائه

ما يجحدوه (يرزق من يشاء) اى يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه فى الحديث ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى ما يعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله او التضعيف فى احسانه او بان ينال به الدنيا والآخرة (ومن كان يريد حرث الدنيا) أى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أى شيأ منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريده ويبتغيه (وماله فى الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط فى الآخرة وله فى الدنيا نصيب ولم يذكر فى عامل الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه فى المآب (أم لهم شركاء) قيل هى أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) اى لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء اى ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) بين الكافرين والمؤمنين او لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم فى الآخرة وان أخرعنهم فى دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين فى الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) اى الفضل الكبير (الذى يبشر الله) يبشر مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله أهذا الذى بعث الله رسولا ولما قال المشركون أيبتغى محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسئلكم عليه) على التبليغ (أجرا الا المودة فى القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا اى لا أسألكم عليه أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتى ويجوز أن يكون منقطعا اى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم أن تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى او المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لى فى آل فلان مودة ولى فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبى ومحله وليست فى صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به فى قولك المال فى الكيس وتقديره الا المودة ثابتة فى القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد فى أهل القربى ... لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم

قال علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا أن تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي اذ لم يكن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح (ومن يقترف حسنة) يكتسب طاعة عن السدي انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم في اي حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولاً أولياً لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى (نزد له فيها حسنا) اي نضاعفها كقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة او الى الجنة (ان الله غفور) لمن أذنب بطوله (شكور) لمن أطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها او التفضل على المثاب (أم يقولون افترى على الله كذبا) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) قال مجاهد اي يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة بتكذيبهم (ويمح الله الباطل) اي الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت في ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف نافع (ويحق الحق) ويظهر الاسلام ويثبته (بكلماته) بما أنزل من كتابه على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأظهر الاسلام (انه عليم بذات الصدور) اي عليم بما في صدرك وصدورهم فيجري الامر على حسب ذلك (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) يقال قبلت منه الشئ اذا أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ويقال قبلته عنه اي عزلته عنه وأبنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التفصي على طريقه وقال علي رضي الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته وعن السدي هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله (ويعفوا عن السيآت) وهو ما دون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفي غير أبي بكر اي من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) اي اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم

على مطلوبهم واستجاب وأجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ماسألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) في الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) اى لو اغناهم جميعا (لبغوا في الارض) من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة اومن البغى وهو الكبر اى لتكبروا في الارض (ولكن ينزل) بالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط اكثر واغلب (وهو الذى ينزل الغيث) بالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية اوأراد رحمته في كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) اى علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف او المضاف اليه (فيهما) من السموات والارض (من دابة) الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد أن يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض او يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) اى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدنى وشامى على أن ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن اثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) اى من الذنوب فلا يعاقب عليه او عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه [illegible] النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل

اوان وجناياته فى طاعتها أكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين فى الارض) اى بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولى) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهى السفينة الجوارى فى الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وأبو عمرو فى الوصل (فى البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدنى (فيظللن رواكد) ثوابت لاتجرى (على ظهره) على ظهر البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه اى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازى عليها وانما أدخل العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون فى آياتنا) أى فى ابطالها ودفعها ويعلم مدنى وشامى على الاستئناف (مالهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم على وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) اى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب والمجئ بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس (وأمرهم شورى بينهم) اى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا أصابهم [illegible] ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم اى يقتصرون فى الانتصار على [illegible] يعتدون وكانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم [illegible] الانتصار لان من انتصر وأخذ حقه ولم يجاوز فى ذلك حد [illegible] كان ولى دم فهو

مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء اولانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها اوفى تسمية الثانية سيئة اشارة الى أن العفو مندوب اليه والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم او الذين يجاوزون حد الانتصار فى الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى أخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للمعايب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) اى الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور) اى من الامور التى ندب اليها او مما ينبغى أن يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع اى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من أحد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار والعذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفى) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم [illegible] يوم القيامة) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا او يقال اى يقولون [illegible] (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم [illegible] (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة [illegible] اجيبوه الى ما دعاكم اليه (من قبل أن يأتى يوم) اى يوم القيامة (لا مرد [illegible] لا مرد أى لا يرده الله بعدما حكم به أو يأتى أى من [illegible] على رده (مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير) أى [illegible] من العذاب [illegible] تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودوّن فى صحائف [illegible] أعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا

(ان عليك الا البلاغ) ماعليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة) نعمة وسعة وأمنا وصحة (فرح بها) بطرلاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت أيديهم) سبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل أريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يقرنهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها أتبع ذلك أن له تعالى الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أولا على الذكور لان سياق الكلام أنه فاعل لما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (ان يكلمه الله الا وحيا) أى الهاما كما روى نفث فى روعى اورؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (أو من وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (أو يرسل رسولا) أى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك اليه وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اى نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وماصح ان يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بأن يوحى أو ان يسمع من وراء حجاب أو ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير أو هو يرسل (باذنه) باذن الله (مايشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع

(حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أى كما أوحينا الى الرسل قبلك اوكما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) اى شرائعه أو ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله أعلم بالصواب

﴿سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين أو الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان كل ما تحتاج اليه الامة فى أبواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى أم الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى أم الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف على وحمزة (لعلى) خبران اى فى أعلى طبقات البلاغة او رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم [illegible] الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب [illegible] (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب [illegible] عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا فى حال الصدر لانه يقال ضربت عنه أى أعرضت عنه كذا قاله الفراء (أن كنتم) لان كنتم ان كنتم مدنى وحمزة وهو من الشرط الذى يصدر عن المدل [illegible] المحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك [illegible] (مسرفين) مفرطين فى الجهالة مجاوزين الحد فى الضلالة (وكم أرسلنا من نبى فى [illegible]) أى كثيرا من الرسل أرسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبى الا كانوا به

يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فاهلكنا أشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيره مهادا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا في اسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فانشرنا) فاحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يزيد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقدير هو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) اي تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بألسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال اقرن الشيء اذا أطاقه وحقيقة أقرنه وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا لمنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مراكبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكى ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال اني مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض [illegible] وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أي قالوا الملائكة [illegible] جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ والده جزأ [illegible] لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة [illegible] الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) [illegible] والهمزة

للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) اي او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتي بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأ في الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى او جعلوا من ينشأ في الحلية يعني البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلي وحفص اي يربى قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) اي سموا وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكي ومدني وشامي اي عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو الزم في الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعني انهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) اي الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء منا ان نترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (ما لهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) اي يكذبون ومعنى الآية عندنا انهم أرادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا او لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضي بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك من علم الآية اوقالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فاكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان انتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم [illegible] ان الله لا يؤاخذهم على شيء فعلوه بمشيئته وجعلوا انفسهم معذورين في ذلك فرد الله

تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن اومن قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم اى تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون اوهما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير) نبى (الا قال مترفوها) اى متنعموها وهم الذين أترفتهم النعمة اى أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامى وحفص اى النذير قل غيرهما اى قيل للنذير قل (اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) اى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) اى واذكر اذ قال (اننى براء) اى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذى فطرنى) استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى (فانه سيهدين) يثبتنى على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعنى اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) اى القرآن (ورسول) اى محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) اى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) اى النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم فى اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (فى الحيوة الدنيا) اى لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلت البعض على البعض فى الرزق فكذا أخص بالنبوة من أشاء

(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) اى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى حوائجهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا باعماله (ورحمت ربك) اى النبوة اودين الله ومايتبعه من الفوز فى المآب (خير ممايجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا) اى لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اى زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف اى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد الى العلالى عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح اى يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا اى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين ان المخففة والنافية وماصلة اى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) اى ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقى الشرك (ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة فى بصره قيل عشى يعشى واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) اى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) اى العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فجاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقى غير ابى بكر اى العاشى جاءنا غيرهم اى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم اى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على الفاعلية اى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب اوكونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب

القلب فى الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
ولا يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسى

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر اى ولن ينفعكم هذا التمنى اوالاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءةمن قرأ انكم بالكسر (أفأنت تسمع الصم) اى من فقد سمع القبول (او تهدى العمى) اى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) اى نتوفينك قبل أن نصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (او نرينك الذى وعدناهم) قبل أن نتوفينك يعنى يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين (فاستمسك) فتمسك (بالذى أوحى اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) اى على الدين الذى لا عوج له (وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولأمتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد سؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل [illegible] وهم أهل الكتابين اى التوراة والانجيل [illegible] عن كتب الرسل [illegible] سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على [illegible] وسل بلا همز مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذاهم منها يضحكون) يسخرون منها ويهزؤن بها [illegible] للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل [illegible] فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم [illegible] اختها) قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها فى نقض العادة [illegible] من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام [illegible] يتفاوت

فيه وعليه كلام الناس يقال هما اخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ماقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية (لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا ياأيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر ياأيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامي ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولايفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط اوأمر مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (فى قومه) جعلهم محلا لندائه وموقعاله (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) اى أنهار النيل ومعظمها أربعة (تجرى من تحتى) من تحت قصرى وقيل بين يدى فى جنانى والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها اوالواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدا وعن الرشيد انه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من ان ادخلها شى عنانه (أفلا تبصرون) قوتى وضعف موسى وغناى وفقره (أم أنا خير) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة كانه قال أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه حالى (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولايكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (ألقى عليه أسوره) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار غيرهم أساورة جمع أسورة وأساوير جمع اسوار وهو السوار حذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) أراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (اوجاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستنزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى اطاعته وهى الاسراع (فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) آسف منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم أفرطوا فى المعاصى فاستوجبوا أن يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لانحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف اى فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما

ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم
فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم ان عيسى بن مريم نبي
وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة
يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا
وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم
وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش (منه)
من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات
النبي صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدني وشامي والاعشى وعلي من الصدود اى من
أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما
لغتان نحو يعكف ويعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون ان آلهتنا عندك ليست
بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) اى
ماضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين
الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك ان قوله
تعالى انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه
لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة
مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج
والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة
(وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الارض) اى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا
بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم في الارض او يخلف الملائكة بعضهم بعضا
وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يارجال ملائكة
يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا
تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن
ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة
وهو العلامة اى وان نزوله علم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك
(واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب اى واتبعوا هداى وشرعى او رسولى او هو امر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذي أدعوكم اليه
(ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالساعة او عن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر

العداوة اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالانجيل والشرائع (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو أمر الدين لا امر الدنيا (فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى او للكفار (أن تأتيهم) بدل من الساعة اى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) اى وهم غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) اى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو اى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وابو عمرو وبفتح الياء ابو بكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة انتم وازواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم (يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب واكواب) اى من ذهب ايضا والكوب الكوز لاعروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب او مستلذة فى العيون (وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى اورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتى اورثتموها خبر [illegible] والتى اورثتموها صفة المبتدأ وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق بمحذوف اى حاصلة وكائنة [illegible] التى تقع اخبارا وفى الوجه الاول تتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض اى لاتأكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا وفى الحديث لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لايفتر عنهم) خبر آخر اى لايخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وماظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم [illegible] هم فصل (ونادوا يامالك) لما ايسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن

النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يامال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) ليميتنا من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لاتتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب أن يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم أجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك (٣) والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن أكثركم للحق كارهون) لاتقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم أبرموا أمرا) أم أحكم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم) حديث أنفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا) اى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لايخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من أمارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فأنا أول العابدين) فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ما عبدت إلها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين اى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هى ان النافية اى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال وعبد ووحد وروى أن النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقنى فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولدحمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) اى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) اى القيامة وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما تقول هو حاتم فى طئ وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طئ جواد فى تغلب وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى

الارض الله ومثله قوله وهوالله فى السموات وفى الارض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ماأنا بالذى قائل لك شيأ والتقدير وهوالذى هو فى السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره فى السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) فى أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) اى علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكى وحمزة وعلى (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) اى يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) اى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) أن الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هوالذى يملك الشفاعة وهواستثناء منقطع اومتصل لان فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) اى المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) فكيف اومن أين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة اى وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره فى قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة اى يعلم الساعة ويعلم قيله اى قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كانه قيل وأقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) اى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى

﴿سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فى الحديث من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له (حم والكتاب المبين) اى القرآن الواو فى [illegible] ان جعلت حم تعديدا للحروف اواسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف [illegible] كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) اى ليلة القدر اوليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل [illegible] ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب

من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق
كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان
من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال
القرآن من الامور الحكيمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل
ويكتب كل أمر من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر
التى تجىء فى السنة المقبلة (حكيم) ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من
الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (أمرا
من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده
جزالة وفخامة بأن قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا
(انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى
انا أنزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم
او تعليل لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى
قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر
موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم
(العليم) بأحوالهم (رب) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع اى هو رب (السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بأن للسموات
والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان
هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض
وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس
بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم) اى هو ربكم
(ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك
يلعبون) وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن بل قول مخالط بهزؤ ولعب (فارتقب)
فانتظر (يوم تأتى السماء بدخان) يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع
الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون
الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل ان قريشا لما استعصت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين
كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين ...
والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان ...
حاله لا يشك أحد فى أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ... ة
لدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا ... ون ان
تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو ... ون منصوب المحل

على الحال اى قائلين ذلك (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما
وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم
مجنون) أى وقد جاءهم ماهو أعظم وأدخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان
وهو ماظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز
وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه
ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا اوكشفا قليلا (انكم
عائدون) الى الكفر الذى كنتم فيه اوالى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هى
يوم القيامة او يوم بدر (انامنتقمون) اى ننتقم منهم فى ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش
باذكر او بما دل عليه انامنتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان مابعد ان لا يعمل فيما قبلها
(ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين اى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا
(قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين اوكريم فى نفسه حسيب
نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الامن سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الى) هى ان المفسرة
لان مجىء الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لايجيئهم الامبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله اوالمخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الى سلموا الى (عباد
الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الى وأرسلوهم معى كقوله أرسل معنا بنى
اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى أدوا الى ياعباد الله ماهو واجب لى
عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتباع سبيلى وعلل ذلك بقوله (انى لكم رسول
أمين) أى على رسالتى غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى فى وجهيها
أى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبى الله (انى
آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على أنى نبى (وانى عذت) مدغم أبو عمرو
وحمزة وعلى (بربى وربكم أن ترجمون) أن تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل
على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل
(وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى ان لم تؤمنوا لى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن فتنحوا
[illegible] واجتنبونى كفافا لا لى ولا علىّ ولا تتعرضوا لى بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم
[illegible] فاعتزلونى فى الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه
(أن هؤلاء قوم مجرمون) [illegible] هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم
مايستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء
بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) من أسرى فاسر بالوصل
حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء اى فقال اسر (بعبادى) أى بنى اسرائيل (ليلا
انكم متبعون) أى دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين
[illegible] (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان

يضرب به بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضرب بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة اى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أى لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم فى شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكى عليه السماء والارض فيبكى على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أى لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أى الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد (من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه فى نفسه كان عذابا مهينا لافراطه فى تعذيبهم واهانتهم أو خبر مبتدا محذوف أى ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أى كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا (على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى) ما الموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال ان الكلام وقع فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الاولى وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها واثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا فى المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) اى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى ... على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق (أهم خير) فى ... (ام قوم تبع) هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل ... ... دري أكان تبع نبيا او غير نبى (والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف ... (اهلكناهم

انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما) اى وما بين الجنسين (لاعبين) حال ولولم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انه خلق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ) أىّ ولى كان عن أى ولى كان شيأ من اغناء أى قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للمولى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على أعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هى على صورة شجر الدنيا لكنها فى النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا تستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز ا و حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط أن يؤدى القارئ المعانى كلها على كمالها من غير ان يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلى فى البطون) و بالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلى الحميم) أى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم والكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) اى الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم انك اى لانك على ... ان هذا العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين فى مقام) ... المقام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم ... (أمين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن ... المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) ... رق من الديباج (واستبرق) ما غلظ منه وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج ... ان يكون أعجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن ... على أوجه الاعراب فساغ أن يقع فى القرآن العربى (متقابلين) فى

مجالسهم وهو أتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة اى الامر كذلك (وزوجناهم) رقرناهم ولهذا عدى بالباء (بحور) جمع حوراء وهى الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهى الواسعة العين (يدعون فيها) يطلبون فى الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) اى فى الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) اى سوى الموتة الاولى التى ذاقوها فى الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها فى الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) اى للفضل فهو مفعول له او مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) اى صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) اى الكتاب وقد جرى ذكره فى أول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك من الدوائر

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما للسورة فهو مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبر (العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى تدبيره (ان فى السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان فى خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفى خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل فقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) اى مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلى (آيات لقوم يعقلون) بالنصب على وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الواو الرفع فى آيات والجر فى واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقديم ذكره فى الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده [illegible] مسعود رضى الله عنه وفى اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينتصب [illegible] بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير [illegible] آيات ورفعهما باضمار هى والمعنى [illegible] المصنفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض [illegible] مصنوعة وأنه

لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق ماظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد (يؤمنون) حجازى وأبوعمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يامحمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) متبالغ فى اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) فى موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضارا لدين الله وجىء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحل الجملة النصب على الحال أى يصير مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بأنه اذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين)

ما فى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال اى سخر هذه
الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده او خبر مبتدا محذوف اى هذه النعم كلها منه اوصفة
للمصدر اى تسخيرا منه (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) اى
قل لهم اغفروا يغفروا والحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا
وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة
على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب
أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها
قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به
(ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة اى انما أمروا بان يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة
وتنكير (قوما) على المدح لهم كانه قيل ليجزى ايما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى
أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد اى ليجزى الخير قوما فاضمر الخير
لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه
بالعشى دليل على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم
مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول
جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء
فعليها) اى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) اى الى جزائه (ولقد آتينا
بنى اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين
الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم
(ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين)
على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما
اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) اى الا من بعد
ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغى حدث بينهم اى لعداوة
وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم
فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا
(ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من الامر)
من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين
لا يعلمون) [illegible] لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى [illegible]
رؤساء قريش [illegible] (انهم) ان هؤلاء [illegible]
من الله شيئا وان الظالمين [illegible]
[illegible] المؤمنين (هذا) [illegible]
البصائر فى القلوب كما جعل روحا [illegible]

يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصي والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله اي كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير فى نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج اى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة فى الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من اى الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذا حسبوا انهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد على مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) اى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه (واضله الله على علم) منه باختياره الضلال او أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبره غشوة حمزة وعلى (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله فى مخالفته فنعم ما قال

اذا طلبتك النفس يوما شهوة * وكان اليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق

(وقالوا ما هى) ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء أولادنا او يموت بعض ويحيا بعض او نكون مواتا نطفا فى الاصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ اى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيحيا به (وما يهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه

السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) اى القرآن يعنى ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه فى زعمهم حجة (الا ان قالوا ائتوا بآبائنا) اى احيوهم (ان كنتم صادقين) فى دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على انها اسم كان وان قالوا الخبر (قل الله يحييكم) فى الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء أعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) أى فى الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر فى الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب فى يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) اى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا (هذا كتابنا) أضيف الكتاب اليهم للملابسة اياهم لان أعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) اى نستكتب الملائكة أعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى [illegible] المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) [illegible] (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى شئ الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيآت ما عملوا) قبائح أعمالهم او عقوبات أعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) [illegible] استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أى [illegible] عدة لقاء يومكم وهى الطاعة [illegible] والمعنى اى نسيتم لقاء الله تعالى فى يومكم هذا [illegible] فى سيزاكم

(ومالكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لايخرجون منها) لايخرجون حمزة وعلى (ولاهم يستعتبون) ولايطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء فى السموات والارض) وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته فى السموات والارض (وهو العزيز) فى انتقامه (الحكيم) فى أحكامه

﴿سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحق (وأجل مسمى) و بتقدير أجل مسمى ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لايؤمنون به ولايهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية اى عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) اخبرونى (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أرونى ماذا خلقوا من الارض) أى شئ خلقوا مما فى الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك فى السموات) شركة مع الله فى خلق السموات والارض (ائتونى بكتاب من قبل هذا) اى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (او أثارة من علم) او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) اى أبدا (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء) اى الاصنام لعبدتها (وكانوا) أى الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم الى عبادتنا ... فى الاستفهام فى من أضل انكار ان يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شئ ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة [illegible] لتركهم اياها وعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم

ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أي اختلقه وأضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) أي ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بيني وبينكم) يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى اني لست بأول مرسل فتنكروا نبوتي (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبي قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وما في ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا في قوله ولا بكم مع أن يفعل مثبت غير منفي لتناول النفي فيما أدري ما وما في حيزه (ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه او الى أمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته [illegible]

رسول الله حقا (على مثله) [illegible] القرآن أي مثله في المعنى [illegible]

المطابقة لما في القرآن [illegible]

[illegible] الله وكفرتم به [illegible]

(واستكبرتم) عن الايمان [illegible]

وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) اى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم اى كذب متقادم كقولهم أساطير الاولين (ومن قبله) اى القرآن (كتاب موسى) اى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق اى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) أى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له (للمحسنين) للمؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من أصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه أولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى اى [illegible] يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن او بأمر [illegible] بدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) [illegible] لغتان [illegible] وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال اى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر اى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال أبو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالاكف وفصاله بفطامه [illegible] كالفطم والفطام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له

من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة و بلوغ الاشـد أن يكتهل و يستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى) ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن أعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (وأصلح لى فى ذريتى) اى اجعل ذريتى موقعا للصـلاح ومظنة له (انى تبت اليـك) من كل ذنب (وانى من المسلمين) من المخلصين (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز أحسنُ غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنـة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصـدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيـل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنـه وفى أبيه أبى قحافة وأمـه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمـان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحـد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه (الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخـبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيـل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعـة ليزيد فقال عبـد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقليـة أتبايعون لابنائكم فقال مروان يأيها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشـة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله أى قطعة (أف لكما) مدنى وحفص أفٍّ مكى وشامى أفَّ غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان اى هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعدانى ان اخرج) ان أبعث وأخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحـد (وهما) أبواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك [illegible] وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به [illegible] الايمـان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله و البعث (ان وعد الله) [illegible] (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين) أباطيلهم [illegible] لاملأن جهنم (فى أمم) فى جملة أمم (قد خلت) [illegible] من الجن والانس

انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) اى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم أعمالهم) بالياء مكى وبصرى وعاصم (وهم لا يظلمون) اى وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) اى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم فى حياتكم الدنيا) اى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) اى الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) اى باستكباركم وفسقكم (واذكر أخا عاد) اى هودا (اذ أنذر قومه بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج عن ابن عباس رضى الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) اى قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالافك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت من الصادقين) فى وعيدك (قال انما العلم) بوقت مجيء العذاب (عند الله) ولا علم لى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به اليكم) [illegible] وابو عمرو اى الذى هو شأنى ان أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف [illegible] ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين [illegible] (فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره [illegible] والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روى ان المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة [illegible] أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر وأظهروا من ذلك فرحا واضافة مستقبل [illegible] غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل [illegible] اى هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) [illegible]

العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزى القوم المجرمين) اى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه الا ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى او نكرة موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) اى آلات الدرك والفهم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) اى من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما أغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف فى قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته فى وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف فى ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد اهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) اى كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى اى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين محذوف أى اتخذوهم والثانى آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم اى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين (يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) اى الرسول صلى الله عليه وسلم او القرآن اى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما [illegible] ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة [illegible] نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا [illegible] واتوا [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى [illegible] القراءة

وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) اى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعى الله) أى محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبى ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) اى لا ينجى منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ماظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيى الموتى بلى) هو جواب للنفى (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) ناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال [illegible]) [illegible] (فاصبر كما صبر أولوا العزم) أولوا الجد والثبات [illegible] والمراد بأولى العزم ما ذكر فى الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما والصحيح أن يكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش العذاب اى لا تدع [illegible] نازل بهم لا محالة [illegible] (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة [illegible]) [illegible] يبصرون [illegible] الدنيا [illegible] ساعة من [illegible]

(بلاغ) هـذا بلاغ اى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظـة اوهذا تبليغ من الرسول (فهل يهلك) هـلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعـذاب الله (الا القوم الفاسـقون) اى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبـه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمـان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) اى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام او صدوا غيرهم عنـه قال الجوهرى صد عنه يصد صـدودا أعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنـه وهم المطعمون يوم بدر اوأهل الكتاب اوعام فى كل من كفر وصـد (أضل أعمـالهم) ابطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ماعملوه فى كفرهم من صـلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام اوماعملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش اومن الانصار اومن اهـل الكتاب اوعام (وآمنوا بمـا نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمـان بالمنزل على رسوله من بين مايجب الايمـان به لتعظيم شأنه وا كدذلك بالجملة الاعتراضـية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) اى القرآن وقيـل ان دين محمد هو الحق اذلا يرد عليـه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمـانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) اى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسـليط على الدنيا بمـا اعطاهم من النصرة والتأييـد (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ ومابعـده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال احـد الفريقين وتكفير سـيآت الثانى والاصـلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشـيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثـل ذلك الضرب (يضرب الله) اى يبين الله (للناس امثالهم) والضمير راجع الى الناس اوالى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين اوجعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) [illegible] (فضرب الرقاب) اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم [illegible] مضافا الى المفعول وفيـه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك [illegible] على الفعل بالمصـدر التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان [illegible] ضرب الرقاب

خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبتــه فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) اكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشــدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فاما منا بعد) اى بعد ان تأسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اى فاما تمنون منا او تفدون فــداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم و بين ان يفادوهم وحكم اسارى المشركين عندنا القتل او الاسترقاق والمن والفداء المذكوران فى الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من" ولا فداء انمــا هو الاسلام او ضرب العنق او المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل و يسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية و بالفداء ان يفادى بأساراهم اسارى (٣) المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشــهور انه لا يرى فداءهم لا بمــال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعنــد الشافعى رحمــه الله تعالى للامام ان يختار أحد الامور الاربعــة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المســلمين والمن (حتى تضع الحرب أوزارها) اثقالها وآلاتها التى لا تقوم الا بها كالســلاح والكراع وقيل اوزارها آثامها يعنى حتى تترك اهــل الحرب وهم المشركون شركهم بأن يسلموا وحتى لا يخلو من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون و يؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم و يفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا ان يتأول المن والفداء بمــا ذكرنا من التأويل (ذلك) اى الامر ذلك فهو مبتدأ وخبرا وافعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض اسباب الهلاك كالخسف او الرجفة او غير ذلك (ولكن) امركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) اى المؤمنــين بالكافرين تمحيصا للمؤمنــين وتمحيقا ... (والذين قتلوا) بصرى وحفص قاتلوا غيرهم (فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم) ... الجنــة او الى الصواب فى جواب منكر ونكير (ويصلح بالهــم) يرضى خصماءهم و يقبل اعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجون ان يسألوا او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحــة (يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله) اى دين الله ورسوله (ينصركــم) على عدوكم و يفتح لكم (ويثبت اقدامكم) فى مواطن الحرب او على محجة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع الابتداء والخبر (فتعسا لهم) وعطف قوله (واضل اعمالهم) على الفعل الذى ... لان المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهمــا

يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار (ذلك) أي التعس والضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض) يعني كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال (وللكافرين) مشركي قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أي نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بأن الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم (وان الكافرين لا مولى لهم) اي لا ناصر لهم فان الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين في العاقبة (كما تأكل الانعام) في معالفها ومسارحها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أي وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال أهلكناهم (هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) أي وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك اي كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر لهم) اي فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) اي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا اهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشأن (التي وعد المتقون) عن الشرك (فيها انهار) داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار او حال اي مستقرة فيها انهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه [illegible] (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وانهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) اي ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وانهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدا خبره (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا في النهاية (فقطع امعاءهم) والتقدير امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفمن كان على [illegible] له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة [illegible] بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة [illegible] النار التي يسقى اهلها الحميم (ومنهم من يستمع اليك حتى [illegible] والذين

أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) اى بصيرة وعلما أو شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها اوآتاهم جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) اى ينتظرون (ان تأتيهم) اى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش التقدير فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان الشان (لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفى شرح التأويلات جازان يكون له ذنب فأمره بالاستغفار له ولكننا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من الصغائر والكبائر وقيل الفاآت فى هذه الآيات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال (والله يعلم متقلبكم) فى معايشكم ومتاجركم (ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور او متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم فى الجنة والنار ومثله حقيق بأن يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة) فى معنى الجهاد (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة (وذكر فيها القتال) أى أمر فيها بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) نفاق أى رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون [illegible] ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا و[illegible] [illegible] (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب [illegible] بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول [illegible] (فاذا عزم الامر) واذا جد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) أى فلعلكم ان أعرضتم عن دين رسول [illegible] وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى

الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم ان توليتم (أولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الموعظة (وأعمى أبصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا مافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لايجسروا على المعاصى وأم فى (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى اقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) اى المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سول) زين (لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومدلهم فى الآمال والامانى وأملىَ أبو عمرو اى امهلوا ومد فى عمرهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) اى المنافقون قالوا لليهود (سنطيعكم فى بعض الامر) اى عداوة محمد والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من أسر حمزة وعلى وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) اى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (بأنهم) بسبب انهم (اتبعوا ما أسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون ان الله تعالى لا [illegible] (ولو نشاء لأريناكهم) [illegible] (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن انس رضى الله عنه [illegible] على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما فى أنفسهم واللام فى فلعرفتهم داخلة فى جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما [illegible] ليكون أبلغ فى اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) [illegible] نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم [illegible] بكر * وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا [illegible] فضحتنا وهتكت

أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعني المطعمين يوم بدر وقد مر (من بعد ماتبين لهم الهدى) من بعد ماظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) التي عملوها في مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق او بالرياء (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي (والله معكم) بالنصرة اى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم اجر أعمالكم (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع في اسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسئلكم أموالكم) اى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله او الرسول * وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض (ان يسئلكموها فيحفكم) اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال أحفاه في المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) اى الله او البخل (أضغانكم) عند الامتناع او عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (هاأنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) اى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا في سبيل الله) هي النفقة في الغزو او الزكاة كأنه قيل الدليل على انه لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى أداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط اى فمنكم ناس يبخلون به (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) اى يبخل عن داعي نفسه لا عن داعي ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغني وأنتم الفقراء) اى انه لا يأمر بذلك لحاجته اليه لانه غني عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق في [illegible] على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما [illegible]

[illegible] سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه [illegible] والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال [illegible] (ثم لا يكونوا أمثالكم) اى ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

{سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية}

{بسم الله الرحمن الرحيم}

[illegible] الفتح الظفر بالبلدة عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق

مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به بلفظ على الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا * وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس سبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لاتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كانه قيل يسرنا لك فتح مكة او كذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل (ماتقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع مافرط منك أوماتقدم من حديث مارية وماتأخر من امرأة زيد (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضي (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) اي ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه (الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة [illegible] السوء) مكي وأبو عمرو أي مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين [illegible] الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء [illegible] والسوء كالكره والكره والضعف والضعف [illegible]

ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم
وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من
عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما)
فيما دبر (انا أرسلناك شاهدا) تشهد على أمتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا)
للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه
(وتسبحوه) من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد أبعد ليؤمنوا مكى
وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا)
الصلوات الاربع (ان الذين يبايعونك) اى بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله)
أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد ان يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدى المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات
الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما
كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله خبر ان (فمن نكث) نقض
العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر
ابن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما
نكث أحدنا البيعة الا الجد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم
(ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بالعقود والموفون
بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازى وشامى (أجرا عظيما) الجنة
(سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن
الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وذلك انه عليه السلام
حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل
البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت
وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من
الاعراب ... القوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه
يهلك ولا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل باهاليهم
وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بأشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون
بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس ما يقولون
وانما هو الشك فى الله والنفاق وطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك
لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) ما يضركم من قتل
او هزيمة ضرا حمزة وعلى (او أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون

خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد اى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم أوهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) اى لهم فأقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين (وكان الله غفورا رحيما) سبقت رحمته غضبه (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله) كلم الله حمزة وعلى اى يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذ قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) اى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم اولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه (تقاتلونهم أو يسلمون) اى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التأويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفى الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب أن يكون الداعى مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) اى عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) فى الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفى الحرج عن ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو (ومن يطع الله ورسوله) فى الجهاد وغيره ذلك (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدنى وشامى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبى صلى الله عليه وسلم حين

نزل بالحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان ابن عفان فخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فأرجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين الفا وأربعمائة (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة عليهم) اى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم) وجازاهم (فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم (وكان الله عزيزا) منيعا فلا يغالب (حكيما) فيما يحكم فلا يعارض (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي ما أصابوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله عز وجل بمكان وأنه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هى مغانم هوازن في غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) اى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ (وكان الله على كل شئ قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء اهل خيبر (لولوا الادبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي امرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ور[illegible] التي قد خلت من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذى كف ايديهم [illegible] ببطن مكة (وأيديكم عنهم) عن اهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة و[illegible] بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رضى الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان فى غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن أبي جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما اظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت (ببطن مكة) اى بمكة او بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم ([illegible] أظفركم عليهم) اى اقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء

أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى) هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم فى صدوكم اى وصدوا الهدى (معكوفا ان يبلغ) محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة (محله) مكانه الذى يحل فيه نحره اى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم معرة) اثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه ادادهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم) متعلق بان تطؤهم يعنى ان تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وقوله (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته اى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم اوليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل فى (اذ جعل الذين كفروا) اى قريش لعذبنا اى لعذبناهم فى ذلك الوقت أو اذكر (فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) [illegible] الذين كفروا وهى الانفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار [illegible] يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا [illegible] رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما [illegible] الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون [illegible] أشهد أنى رسول [illegible] الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل [illegible] السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على انها كلمة [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) اى المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فيجرى الامور على مصالحها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) اى صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ماعاهدوا الله عليه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كانه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وغيره والله ماحلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت (بالحق) متعلق بصدق اى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اى بالحكمة البالغة وذلك مافيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ماقال رسوله لاصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير فى آمنين (رؤسكم) اى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لاتخافون) حال مؤكدة (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) اى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) اى الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لاترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات (وكفى بالله شهيدا) على ان ماوعده كائن وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا تمييز أو حال (محمد) خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله ومبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) اى أصحابه مبتدأ أو خبر (أشداء على الكفار) أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كأن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من أثر

السجود) اى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ماصلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) اى المذكور (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) وعليه وقف (ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فازره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان الكفار اذا سمعوا بما أعدلهم فى الآخرة مع مايعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك أنفق من الدراهم اى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا) قدّمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ماوقع فى النفس مما يقدم من القول أوالفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هوالذى يحيي ويميت أوهو من قدّم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدّموا بحذف احدى تاءى تتقدموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله اى سرنى حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة

هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه الصوت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله ان يتقى (يا أيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) اى اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) اى اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر أولا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كأخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه فى محل النصب اى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا أن يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها (ان تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم اى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) تم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم فى مجلسه تعظيما له (أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبر ان والمعنى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة * وعن عمر رضى الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد (لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر

معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد
الجزاء نكرة مبهما أمره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء فعل الخافضين أصواتهم وفيها
تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) نزلت في
وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس
وعيينة بن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يامحمد
فان مدحنا زين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله
من خلف اوقدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من
الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات
بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له او
نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين
فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون) يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل
أن يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط الذي وردت عليه
فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به
بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه
ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من أول السورة الى آخر هذه الآية
لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله
ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من
جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثاني ثم اثنى على الغاضين
اصواتهم ليدل على عظيم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته اتم من الصياح
برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس
قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول كان
صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا (ولو انهم صبروا) اي ولو ثبت صبرهم
ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله
تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو
النفس وقيل الصبر مر لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن
خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم (لكان) الصبر
(خيرا لهم) في دينهم (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسع [illegible]
غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا (ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ)
اجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول الله صلى [illegible] بني
المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف [illegible] مستقبلين له فحسبهم

مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى تنكير الفاسق والنبا شياع فى الفساق والانباء كانه قال اى فاسق جاءكم بأى نبا (فتبينوا) فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا فى خبره لسوينا بينه و بين الفاسق ولخلا التخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشئ يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف (أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصوّنون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله (ولكن الله حبب اليكم الايمان) وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر) وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود (والفسوق) وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر (والعصيان) وهو ترك الانقياد لما أمر به الشارع (أولئك هم الراشدون) اى أولئك المستثنون هم الراشدون يعنى أصابوا طريق الحق ولم يميلوا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة (فضلا من الله ونعمة) الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له اى حبب وكره للفضل والنعمة (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لأطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وثنى فى فاصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) اى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور فى كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغى الى أمر الله (فأصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما أمر به فى اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولاد لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة فى الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغى (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لانهم القوام بأمور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية اذ لو كانت النساء داخلة فى قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير فى قوله

وما أدرى ولست اخال أدرى ۞ أقوم آل حصن أم نساء

وأما قولهم فى قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاطٍ للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهى والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى أن لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة

في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز بالالقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروى ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروى انها نزلت في ثابت ابن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهي عنه (فاولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني و بني أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك بأهل الخير سوأ فاما أهل الفسق فلنا ان نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنبوا اجتنابا كثيرا أو احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب (ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس

الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها ان لم يقتصر على لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم او من أخيه ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله (فكرهتموه) اى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق ان تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة باستقامة الدين (واتقوا الله ان الله تواب رحيم) التواب البليغ فى قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ماوجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم ثواب المتقين التائبين وروى أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماعندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء اوكل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل مايدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل فى النسب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها (لتعارفوا) اى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل فى الانساب ثم بين الخصلة التى يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فى الحديث من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة [illegible] وروى أنه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم [illegible] الذى أذهب عنكم غيبة الجاهلية وتكبرها ياأيها الناس انما الناس رجلان [illegible] شقى [illegible] وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد بن شجرة [illegible] صلى الله عليه وسلم

فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا فى ذلك شيأ فنزلت (ان الله عليم) كرم القلوب وتقواها (خبير) بهم النفوس فى هواها (قالت الاعراب) اى بعض الأعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم اعراب بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) اى ظاهرا و باطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين ألا ترى الى قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما فى الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وهو دال على أن بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان ... قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل قل لم تؤمنوا مع أدب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا (وان تطيعوا الله ورسوله) فى السر بترك النفاق (لا يلتكم) لا يألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) اى لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يألت وألات يليت ... وهو النقص (ان الله غفور) بستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن ... ثم ... المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع راب ... فى الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان منبها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله) يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو والمحارب اوالشيطان اوالهوى وان يكون ... فى جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان تناول العبادات بأجمعها

وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان فى جيش العسرة وان يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر وخبر المبتدا الذى هو المؤمنون (أولئك هم الصادقون) اى الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أى بان (أسلموا) يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) اى المنة لله عليكم (أن هداكم) بان هداكم أو لان (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم وقرئ إن هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى انه تعالى يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وهو علام الغيوب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا أى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أى محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على ان تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت [illegible] متنا نافع وعلى وحمزة وحفص (ذلك رجع بعيد) مستبعد [illegible] بعيداى بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع [illegible] من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من [illegible] على هذا

حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغير عمد (وزيناها) بالنيرات (ومالها من فروج) من فتوق وشقوق أى أنها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل (والارض مددناها) دحوناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر (لكل عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهما (والنخل باسقات) طوالا فى السماء (لها طلع) هو كل ما يطلع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه أو لكثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أى أنبتناها رزقا للعباد لان الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظه أو هو مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف فى محل الرفع على الابتداء (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطو وهم قوم من بقية ثمود [illegible] أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الايكة) سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك اليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا) عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أى انا لم نعجز عن الخلق

الاول

الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم فى لبس) فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهوان من قدرعلى الانشاء كان على الاعادة أقدر (من خلق جديد) بعدالموت وانما نكرالخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به أن يخاف ويهتم به (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس مايخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس والباء مثلها فى قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه) المراد قرب علمه منه (من حبل الوريد) هومثل فى فرط القرب والوريد عرق فى باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعيرسانية (اذيتلقى المتلقيان) يعنى الملكين الحافظين (عن اليمين وعن الشمال قعيد) التلقى التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوى رمانى

اى رمانى بأمر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذ منصوب باقرب لمافيه من معنى يقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولاشئ أخفى منه وهوأقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان مايتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمرهو غنى عنه وكيف لايستغنى عنه وهومطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهى ما فى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيآت والرغبة فى الحسنات (مايلفظ من قول) مايتكلم به ومايرمى به من فيه (الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضرثم قيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لايكتبان الا مافيه أجر اووزر وقيل ان الملكين لايجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه أعلمهم ان ما أنكروه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت) اى شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) اى بحقيقة الامر او بالحكمة (ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفروتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) اى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت) اى يقال لها لقد كنت (فى غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) اى فأزلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة كانها غطاء غطى به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه

فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر مالم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) الجمهور على أنه الملك الكاتب الشهيد عليه (هـذا) اى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (ما لدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد او لمالك وكان الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله القين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار وفالقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) اى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما أخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ماقبلها فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ماقال له وأما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو أطغانى فقال قرينه (ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى (قال لا تختصموا) هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا (لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد) اى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى قوله ولا تلقوا بأيديكم [illegible] او معدى بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدى) أى لا تطمعوا ان [illegible] [illegible] (وما أنا بظلام للعبيد) [illegible] عبدا بغير ذنب وقال [illegible] لا [illegible] بظلام لعبيده (يوم) نصب بظلام او بمضمر [illegible] وأو [illegible] أى يقول الله (لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهو مصدر كالمجيد اى انها تقول بعد امتلائها هل من مزيد أى هل بقى فى موضع لم يمتلئ يعنى قد امتلأت او انها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه تعالى بانها امتلأت أم لا (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف اى مكانا غير

بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف اى شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ما توعدون) صفته و بالياء مكى (لكل أوّاب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده جاء فى الحديث من حافظ على أربع ركعات فى أول النهار كان أوابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع (خشى الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بانه خاش مع ان المخشى منه غائب (بالغيب) حال من المفعول اى خشيه وهو غائب او صفة لمصدر خشى اى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وأرخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) اى سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) اى يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد) على ما يشتهون والجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (فى البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا اى شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله أو من الموت (ان فى ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له (أو ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذوا انكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على ما يقولون) اى على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول المشركون فى أمر البعث [illegible] على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) [illegible] التسبيح محمول على ظاهره او على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشاآن او التهجد (وادبار السجود) التسبيح فى

آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات أو الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار حجازى وحمزة وخلف من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادى المناد) بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى المنادى بالياء فى الحالين مكي وسهل ويعقوب وفى الوصل مدنى وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيى) الخلق (ونميت) اى نميتهم فى الدنيا (والينا المصير) اى مصيرهم (يوم تشقق) خفيف كوفى وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) اى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور اى مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذى لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر أى ما أنت بمسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره اى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم

﴿ سورة الذاريات مكية وهى ستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء فى الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك او تتولى تقسيم امر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه أقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى

تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ما توعدون) جواب القسم وماموصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك (انكم لفى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على ان وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون مالا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم بالنار (هذا) مبتدأ خبره (الذى) أى هذا العذاب هو الذى (كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال (ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسيرا حسانهم ما بعده (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم ويرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز ان تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل

قليلا ويحبونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا أخذوا فى الاستغفار كانهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل (وفى أموالهم حق للسائل) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أى الذى يتعرض ولا يسأل حياء (وفى الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وماركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل ان التقدير أفلا تبصرون فى أنفسكم ضعيف لانه يفضى الى تقديم ما فى حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفى السماء رزقكم) أى المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد ان ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدونه فى العقبى كله مقدور مكتوب فى السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق أى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أى انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى [illegible] قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه [illegible] فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها [illegible] وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد [illegible] فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق [illegible] سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى

حلف قالهـا ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانمـا عرفه بالوحى وانتظامها بمـا قبلها باعتبار انه قال وفى الارض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجمـاعة كالصوم والزور لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) اى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قصد أن يحييهم بأحسن ممـا حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السـلام (قوم منكرون) اى أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف ان يخفى أمره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) أنكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه (فأوجس) فأضمر (منهم خيفة) خوفا لان من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة أرسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وبشروه بغلام عليم) اى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال اى فجاءت صارة وقيل فأخذت فى صياح وصرتها قولها يا ويلتا (فصكت وجهها) فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (وقالت عجوز عقيم) اى أنا عجوز فكيف ألد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا (قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) اى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) اى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أم لامر آخر أو لهما (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) اى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) اريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) فى ملكه

وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فأخرجنا من كان فيها) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعنى لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) اى غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وفى موسى) معطوف على وفى الارض آيات اوعلى قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن مايركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) اى هو ساحر (اومجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لاخير فيها من انشاء مطر اوالقاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (ماتذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل مارم اى بلى وتفتت من عظم اونبات اوغيرذلك والمعنى ماتترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وانعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) اى هرب اوهو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب اولم يكونوا مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) اى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة اى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بأيد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق او لموسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر اى وفرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر

والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) اى من الشرك الى الايمان بالله أومن طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أومجنون) رموهم بالسحر أوالجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فما أنت بملوم) فلا لوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بأن تزيد فى (٣) عملهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لا يجوز أن يخلق الذين علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلا بد أن توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لما عرف ان الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة كان صادقا فى قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أ[illegible] مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (ان الله هو الرزاق ذو القوة [illegible] الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على [illegible] (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذ[illegible] [illegible] أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون [illegible] قال الزجاج الذنوب

في اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب النضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) اي من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدوني أن يطعموني فلا يستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب وافقه سهل في الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

﴿ سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ او التوراة (في رق) هو الصحيفة او الجلد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لانه (والبيت المعمور) اي الضراح وهو بيت في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روي انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) اي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد والواو الاولى للقسم والبواقي للعطف وجواب القسم (ان عذاب ربك) اي الذي أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه في الاسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ما له من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع اي واقع غير مدفوع والعامل في يوم لواقع اي يقع في ذلك اليوم او اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) في الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (أفسحر هذا) هذا [illegible] كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف اي سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين في جنات)

فى أية جنات (ونعيم) اى واى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات اى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم اوعلى آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) اوالواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيأ اوطعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ والحقنا بهم خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم ابوعمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) اى نلحق الاولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت اعمال الذرية عن اعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء ذريتهم ذرياتهم مدنى ذرياتهم ذرياتهم ابوعمرو ذرياتهم ذرياتهم شامى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألِتناهم مكى ألت يألت وألت يألت لغتان من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) اى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خمرا اى يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) اى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه اثم لوفعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشارب خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة [illegible] بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكى وبصرى (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) فى الصدف لانه رطبا احسن وأصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة فى الحديث ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) اى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خا[illegible] من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت [illegible] بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هى الريح الحارة [illegible] نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء [illegible] الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية [illegible] (هو البر الرحيم)

العظيم الرحمة الذى اذاعبد أثاب واذاسئل أجاب أنه بالفتح مدنى وعلى اى بأنه أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر اى ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم فى أوائل هذه الآى منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم اى ليس الامر كما زعموا (لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من اجل لا شئ من جزاء ولا حساب امهم الخالقون فلا يأتمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون) اى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المصيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهوكائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه اى عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة [illegible] تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسألهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه اى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) اى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله ﷺ (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى

الكيد من كايدته وكدته (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أي جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك بأعيننا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عينى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أى مكان قمت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أى فى أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق

﴿سورة النجم اثنتان وستون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) أى محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وما غوى) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى (علمه) علم محمد عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته [illegible] قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها [illegible] ثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) [illegible] على صورته الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى [illegible] صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن [illegible] على [illegible] فاستوى له

فى الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل مارآه أحد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقة سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس (ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا ومافيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى ان ما رآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه أفتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة اخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة [illegible] أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل [illegible] (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها [illegible] (اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى رآه اذ يغشى السدرة [illegible] الغشى وهو تعظيم وتكثير [illegible] بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على [illegible] وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة [illegible] وقيل يغشاها [illegible] من ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله [illegible] عن رؤية [illegible] (وما طغى)

وماجاوزما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة) اى أخبرونا عن هذه الاشياء التي تعبدونها من دون الله عزوجل هل لهـا من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهي مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت نخلة تعبدها قريش وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها و يعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهي سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق ومناءة مكي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هي صفة ذم اى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم و يزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) اى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى اى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذلا فعلى في النعوت فكسرت الضاد للياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكي من ضأره مثل ضازه (ان هي) ما الاصنام (الا أسماء) ليس تحتها في الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لمـا هو أبعد شيء منها وأشد منافاة لها (سميتموها) اى سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) الا توهم ان ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ليس للانسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام او من قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو تمني بعضهم ان يكون هو النبي (فلله الآخرة والاولى) اى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي [illegible] من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء و يرضى) يعني ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم شيأ قط ولا تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له و يرضاه و يراه أهلا لان يشفع له وكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) اى كل واحد منهم [illegible] اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم [illegible] علم) اى بما يقولون [illegible] (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) اى انما [illegible]

عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) فأعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله اى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) اى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) اى هو أعلم بالضال والمهتدى ويجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسيء منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل او فى موضع رفع على المدح اى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) اى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى اى النوع الكبير منه (والفواحش) ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما أوعد الله عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (الا اللمم) اى الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة (ان ربك واسع المغفرة) فيغفر ما يشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم) اى أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب او الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو اعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذى تولى) أعرض عن الايمان (وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وأمسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر * عن ابن عباس رضى الله عنهما فيمن كفر بعد الايمان [illegible] الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وت[illegible] الاشياخ وزعمت انهم فى النار قال انى خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا [illegible] رجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن له [illegible] (أعنده علم الغيب فهو يرى) فهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما فى صحف موسى) اى التوراة (وابراهيم) اى [illegible] ابراهيم (الذى وفى) اى وفر واتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء [illegible] والتشديد مبالغة فى الوفاء * وعن الحسن ما امره الله بشئ الا وفى به

وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما فى صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل ان وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كان قائلا قال وما فى صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى اى لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) الا سعيه وهذه أيضا مما فى صحف ابراهيم وموسى وأما ما صح فى الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (وأن سعيه سوف يرى) اى يرى هو سعيه يوم القيامة فى ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه (وأن الى ربك المنتهى) هذا كله فى الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء اى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير (وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل اضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وابكاهم فى الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات وأحيا) قيل أمات الآباء واحيا الابناء أو أمات بالكفر وأحيا بالايمان او امات هنا وأحيا ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) واعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله انه رب معبودهم هذا (وأنه أهلك عادا الاولى) هم قوم هود وعاد الاخرى ارم عاد الولى مدنى وبصرى غير سهل ادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وثمود منصوب على عادا ولا ينتصب بما ابقى لان [illegible] فيما قبله لا تقول زيدا ضربت وكذا [illegible] النفى [illegible]
(وقوم نوح) أى وأهلك قوم نوح (من قبل) [illegible]
وأطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لا [illegible] حتى

كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (أهوى) اي رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض اي أسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأي آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك بما أولاك من النعم او بما كفاك من النقم او بأي نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تشكك (هذا نذير) اي محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة او هذا القرآن نذير من النذر الاولى اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي أنذر بها من قبلكم (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اي ليس لها نفس كاشفة اي مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة اي قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) اي القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأنتم سامدون) غافلون أولاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) اي فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم

﴿ سورة القمر خمس وخمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه * قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم (وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر) محكم قوي من المرة القوة او دائم مطرد او مستمر ذاهب يزول ولا يبقى (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا اهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل امر) وعدهم الله (مستقر) كائن في وقته وقيل كل ما قدر واقع وقيل كل امر من امرهم واقع مستقر اي سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) أهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (ما فيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اي منعته وأصله ازتجر ولكن

التاء اذا وقعت بعد زاى ساكنة أبدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاى حرف مجهور فأبدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهـذا فى آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما أو على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب او بالغة من الله اليهم (فما تغنى النذر) ما نفى والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لا يغنى فيهم نصب (يوم يدع الداع) يخرجون أو باضمار اذكر الداعى الى الداعى سهل ويعقوب ومكى فيهما وافق مدنى وابو عمرو فى الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لمتابعة اللفظ والداعى اسرافيل عليه السلام (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكى (خاشعا أبصارهم) عراقى غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث ويجوز ان يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الزلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) فى كثرتهم وتفرقهم فى كل جهة والجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى اعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل اهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) اى هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل او هو من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه أنى) اى بأنى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) اى مياه السماء والارض وقرئ الماآن اى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء او على [illegible] فى اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات [illegible] أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات [illegible] بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة [illegible] درع ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة [illegible]

وبديه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا أو بأعيننا حال من الضمير فى تجرى اى محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) اى السفينة او الفعلة اى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ و يعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء ابدلت منها الدال والدال والذال من موضع فأدغمت الذال فى الدال (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) اى وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة اوشديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بأيدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض امواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهى اصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كأنها أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفى ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا ان يكون من الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس من اشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله (أألقى الذكر عليه من بيننا) اى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو احق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه

التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامي وحمزة على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة او فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به اولانه عقر بعونتهم (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) يعنى على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته سحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له اى انعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا [illegible] رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) اول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ان يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا [illegible] استيقاظا [illegible] الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم [illegible] فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل [illegible] عدها [illegible] قوله [illegible] أوردها وكذلك تكرير الانباء و القصص فى [illegible] لتكون [illegible] مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان [illegible]

وهرون وغيرهما من الانبياء أوهو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شئ (أكفاركم) ياأهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا او أقل كفرا وعنادا يعنى ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم (أم لكم براءة فى الزبر) ام أنزلت عليكم ياأهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (ام يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع اهل مكة (ويولون الدبر) اى الادبار كما قال * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * اى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) اشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذى لايهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا او أشد من المرة (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى الدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة او فى هلاك ونيران (يوم يسحبون فى النار) يجرون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لامكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا للشئ ويكون الخبر بقدر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل أن يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدر فيكون الخلق عاما لكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لاتعمل فى الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب مااقتضته الحكمة أومقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه [illegible] أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت [illegible] انها نزلت فى القدرية (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة اى [illegible] الا ان نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر [illegible] كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا [illegible] من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه) اى [illegible] (فى الزبر) فى دواوين [illegible] فى موضع جر [illegible] (وكل صغير وكبير) من الاعمال [illegible] (مستطر) [illegible] فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) وأنهار [illegible] (فى مقعد صدق) فى مكان

مرضى (عند مليك) عندية منزلة وكرامة لامسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيها ان يعلم ان لاشئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير

﴿سورة الرحمن جل وعلا وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الرحمن علم القرآن خلق الانسان) اى الجنس اوآدم اومحمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عزوجل آلاءه فأراد ان يقدم اول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها واقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحى الله رتبة واعلاه منزلة وأحسنه فى ابواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من اجله عليه ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل لك مالم يفعل احد بأحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذى ينجم من الارض لاساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوى لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لالغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف فى الجمل الاول ثم جئ به بعد لان الاول وردت على سبيل التعد[illegible] يبكت منكرا أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل مايجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لاتزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون [illegible] على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) [illegible] به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس [illegible] الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى [illegible] فى الميزان) لئلا تطغوا أو هى ان المفسرة (وأقيموا [illegible]) ولا تخسروا وزنكم

بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف اوكل ما يكم اى يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع اوالتبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلى اى والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم والحبَّ ذا العصف والريحان شامى اى وخلق الحب والريحان اووأخص الحب والريحان (فبأى آلاء) اى النعم مما عدد من اول السورة جمع ألى والى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين بدلالة الانام عليهما (خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) اى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمإ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أومختلط من نار أوأراد من نار مخصوصة كقوله فأنذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) اى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لا يتجاوزان [illegible] ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج [illegible] [illegible] اللؤلؤ) بلاهمز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) صغاره [illegible] يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز ان يقال يخرجان [illegible] يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من [illegible] خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من [illegible] والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله (الجوار) السفن جمع جارية قال [illegible] الياء والاحسن [illegible] وصلها وان وقف عليها واقف بغير ياء فذا جائز على بعد [illegible] ليدل على حذفها ([illegible]) المرفوعات الشرع المنشآت

بكسر الشين حمزة ويحيي الرافعات الشرع اواللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذوالجلال) ذوالعظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام وروى أنه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيي بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها بامع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات مايتعلق بدينهم وأهل الارض مايتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بمادل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى أنه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عندالله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى اخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال انا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبدالله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ماسعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وان ليس للانسان الا ماسعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا على طريق المثل سيفرغ

حمزة وعلى اى الله تعالى (أيها الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائى فاخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكى وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) اى دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) اى فيوم تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) اى ولا جن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لا يسئل انس ولا جان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره اى يعاقب عليهم بين [illegible] [illegible] من شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا النجاة الناجى [illegible] (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه [illegible] وأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام [illegible] (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكأنه قيل لكل [illegible] جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف [illegible] (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال [illegible] تجتنى الثمار او ألوان جمع فن اى له فيها ما تشتهى [illegible]

ومن كل افنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أوحال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لا يعلمها الا الله (وجنى الجنتين دان) وثمرها قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنتين لاشتمالهما على اماكن وقصور ومجالس او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو ابيض من اللؤلؤ (فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وقيل ماجزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والنخل ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان الثمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء [illegible] لا انما عطفا على الفاكهة [illegible] كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) [illegible] وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل [illegible] (وعبقرى حسان) ديباج أو طنافس (فبأى آلاء ربكما تكذبان [illegible]) هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما [illegible] ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة [illegible]

اسم ربك ذي الجلال) ذي العظمة ذوالجلال شامي صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه
بالانعام روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالى أراكم سكوتا الجن
كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من
نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية فى هذه السورة احدى
وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ
الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم
وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى
بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة
وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم

﴿ سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا
وقعت الواقعة التى لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل
ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر (ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أى
لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ
مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى
ياليتنى قدمت لحياتى (خافضة رافعة) أى هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين
(اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو
بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض
وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتتت حتى تعود كالسويق أوسيقت من بس الغنم
اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا)
أصنافا يقال للاصناف التى بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة)
[illegible] فى النار ثم فسر الازواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين
[illegible] (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدا الاول وهو
تعجيب [illegible] كأنه قال ما هم أى شئ هم (وأصحاب المشأمة)
اى الذين يؤتون [illegible] أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية الخسيسة
من قولك فلان منى باليمين [illegible] اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم
[illegible] وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال
(ما أصحاب المشأمة) أى أى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ
[illegible] السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى

تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن المسابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال أيضا (يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) جمع كوب وهى آنية لا عروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكأس (من معين) من خمر تجرى من العيون (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاى كوفى أى لا ينفد شرابهم يقال أنزف القوم اذا فنى شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أى وفيها حور عين اولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم [illegible] (كأمثال اللؤلؤ) فى الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم او مصدر اى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا او مفعول به لقيلا اى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا [illegible] شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذى [illegible] وليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما [illegible] (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد اى تجرى على الا[illegible] (وفاكهة كثيرة)

اى كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لاتنقطع فى بعض الاوقات كفوا كه الدنيا بل هى دائمة (ولا ممنوعة) لاتمنع عن متناولها بوجه وقيل لامقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر او نضدت حتى ارتفعت اومرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن اواللاتى أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وازواجهن كذلك واللام فى (لاصحاب اليمين) من صلة انشأنا (ثلة) اى اصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقو الامم اكثر من سابقى امتنا وتابعو الامم مثل تابعى هذه الامة (واصحاب الشمال مااصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناهى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود (لابارد ولا كريم) نفى اصفتى الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق مافى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك) اى فى الدنيا (مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) اى على الذنب العظيم اوعلى الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين اوالكفر بالبعث بدليل قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره انبعث اذامتنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان ان والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أوآباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى اوآباؤنا مدنى وشامى (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ اى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم اهل مكة ومن فى مثل حالهم (لآكلون من شجر)

من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هى ابل عطاش لا تروى جمع أهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتان متفقتان لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذى يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا (افرأيتم ما تمنون) ما تمنونه اى تقذفونه فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل اى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى ان ننشئكم فى خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون أمثالكم جمع مثل اى على أن نبدل [illegible]

واخلاقكم و[illegible] فى صفات لا تعلمونها [illegible] الشاة مكى [illegible]

[illegible] (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه [illegible] من حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) ما تحرثونه من الطعام اى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفى الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون [illegible]

تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم من المعاصى التى اصبتم [illegible]

تقولون انا [illegible] (لمغرمون) [illegible]

الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محا[illegible]

لنا ولا حظ لنا او كنا محدودين لما جرى علينا [illegible] (أفرأيتم الماء الذى تشربون) اى [illegible]

الماء العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب الابيض وهو أعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا او مرا لا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لولما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لا محالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن امر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (أفرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشئون) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) أى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين النازلين فى القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من قولهم أقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ [illegible] لانسان قال أفرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد ما دام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به أيها المستمع المستدل أو أراد بالاسم الذكر أى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) أى فأقسم ولا [illegible] قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلأقسم [illegible] فلأنا أقسم [illegible] فلأنا أقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون [illegible] أن تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها [illegible] لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى [illegible] أفعالا مخصوصة سنية أو للملائكة عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه [illegible]) وهو اعتراض فى اعتراض لانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه

وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضي او نفاع جم المنافع او كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (في كتاب) اى اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن أن يأتيه الباطل اومن غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس أدناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغي أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن اى منزل (من رب العالمين) او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا (أفبهذا الحديث) اى القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في بعض الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اى تجعلون شكر رزقكم التكذيب اى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة على رضى الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر اى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم (فلولا اذا بلغت) النفس اى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهي الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفى بذكره مرة وترتيب الآية [illegible] كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة [illegible] ونحن اقرب اليه منكم [illegible] أهل الميت بقدرتنا وعلما او بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم آيات الله في كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فالكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان [illegible]

المقربين) من السابقين [illegible] المذكورة في [illegible]

استراحة (وريحان) ورزق [illegible]

أصحاب اليمين) اى فسلام لك [illegible]

عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما [illegible]

من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) اى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) اى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ماتشتكى فقال ذنوبى فقال ماتشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لاحاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لاحاجة لهن فيه قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقترنت الرحمن الواقعة والله أعلم

﴿ سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله) جاء فى بعض الفواتح سبح بلفظ الماضى وفى بعضها بلفظ المضارع وفى بنى اسرائيل بلفظ المصدر وفى الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهى أربع المصدر والماضى والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله وتسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اماأن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واماان يراد سبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (مافى السموات والارض) مايتأتى منه [illegible] (وهو [illegible]) [illegible] من مكلف لم يسبح له عنادا (الحكيم) فى مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع (يحيى) رفع اى هو يحيى الموتى (ويميت) الاحياء او نصب اى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك [illegible] ولواو الاولى معناها الدلالة [illegible] [illegible] وسطى فعلى انه [illegible] الآخرين فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات [illegible] ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ [illegible] من ظهر عليه اذا علاه [illegible] و باطن الذى بطن كل شئ اى علم باطنه (وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) عن الحسن من أيام الدنيا ولو أراد أن [illegible] لفعل ولكن جعل الستة أصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى [illegible] فى الارض) مايدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى

(ومايخرج منها) من النبات وغيره (ومايزل من السماء) من الملائكة والامطار (وما يعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهومعكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل ويزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا أذن له فيه اوجعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ماتصنع قائما اى ومالكم كافرين بالله والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لاتؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لامزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى او محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والقصر [illegible] (وما لكم ألا تنفقوا) فى ان لاتنفقوا (فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى واى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) اى فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا [illegible] ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين أنفقوا من بعد [illegible] الذين أنفقوا قبل الفتح [illegible] من المهاجرين [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا [illegible] وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهى الجنة [illegible] والحسنى مفعول

ثان وكل شامي اى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فيضاعفه له) اى يعطيه أجره على انفاقه أضعافا مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم اومنصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات) اى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة أنظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنير وابه (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم اى تقول لهم الملائكة او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور او الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) اى النور او الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) اى الظلمة او النار (ينادونهم) اى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (قالوا) اى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) اى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم او أنه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم) هى أولى بكم وحقيقة مولاكم محراكم اى مكانكم الذى

يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه اى وقته قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا و بين ان عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن أبى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع و بالتاء ورش على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم و بين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل او الزمان (فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين اى وقليل منهم مؤمنون (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فأدغمت التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (وأقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا والقرض الحسن [illegible] طيبة النفس وصحة النية على المستحق [illegible] (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم أجر كريم) اى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) اى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب) كاللعب [illegible]

(ولهو) [illegible] (وزينة) [illegible] (وتفاخر بينكم) [illegible]

كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) [illegible]

غيث أعجب الكفار [illegible]

[illegible] الدنيا وسرعة تقضيها [illegible]

الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى أن الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على أنه خبر بعد خبر اى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) اى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط او أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لا تكون فى عرض السموات والارض (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على أنها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على أنه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين أن كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر اى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال اى الا مكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق الانفس (ان ذلك) ان تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان [illegible] على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا [illegible] من الدنيا وسعتها اومن العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور [illegible] من الايتاء أبو عمرو أتاكم اى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم [illegible] عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ما [illegible] لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه [illegible] الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن [illegible] شكرا والحزن [illegible] ثم من الحزن الجزع المنافى للصبر

ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لا يحب كل مختال فخور) لان من
فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون)
خبر مبتدا محذوف او بدل من كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد
الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم
يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل) ويحضون غيرهم على
البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق او عن أوامر الله
ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى)
عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى أفعاله فان الله الغنى بترك هو مدنى وشامى
(لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات
(وأنزلنا معهم الكتاب) اى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان
الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى أن جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح
وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط)
بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من
حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن
الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى
مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها او ما يعمل بالحديد
(وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء
الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله
قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض
لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام
الدينية يبين سبل المراشد والعهود وتتضمن جوامع الاحكام والحدود [illegible]
والاحسان [illegible] عن البغى والطغيان و[illegible] العدل والاجتناب عن ظلم [illegible]
يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان
الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على
اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو
الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما
أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) [illegible]
وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة [illegible]
اومن المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين [illegible]
هذا تفصيل لحالهم اى فمنهم من اهتدى [illegible] ومنهم [illegible]
والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) اى [illegible] (رسلنا

وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانيــة) هى ترهبهــم فى الجبال فارّين من الفتنــة فى الدين مخلصــين أنفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) اى أخرجوها من عند أنفسهم ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فمــا رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) اى أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام او الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون (ياأيها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمــد صلى الله عليه وســلم (يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمــانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمــانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقــدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله انه لا يقدرون يعنى ان الشأن لا يقدرون (على شئ من فضل الله) اى لا ينالون شيأ ممــا ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفعهم ايمــانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وأن الفضل) عطف على أن لا يقدرون (بيد الله) اى فى ملكه وتصرفه (يؤتيــه من يشاء) من عباده (والله ذو الفضــل العظيم) والله أعلم

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله قول التى تجادلك) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت [illegible] عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب فظاهر منها [illegible] أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فىّ فلما [illegible] سنى ونثرت بطنى اى كثر ولدى جعلنى عليه كأمه وروى أنها قالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الىّ جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم [illegible] فى أمرك شئ وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا [illegible] وأحب الناس الىّ فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى [illegible] الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (قد

زوجها) فى شأنه ومعناه (وتشتكى الى الله) تظهر ما بها من المكروه (والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام من حار اذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازى و بصرى غيرهم يظاهرون وفى (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من نسائهم) زوجاتهم (ماهن أمهاتهم) أمهاتهم المفضل الاول حجازى والثانى تميمى (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين فى الآية الاولى أن ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا أتيته وصرت اليه وبحرف الجر الى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا اى يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف أيضا غير أنه أراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول أراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا أن النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار (فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة او كافرة ولم يجز المدبر وأم الولد والمكاتب الذى أدى شيأ (من قبل أن يتماسا) الضمير يرجع الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى واذا وضع موضع أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب او رضاع او صهر او جماع نحو أن يقول أنت على كظهر أختى من الرضاع او عمتى من النسب او امرأة ابنى او أبى او أم امرأتى او ابنتها [illegible] واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضى أن يجبره [illegible] يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة [illegible] التكفير والامتناع من الاستمتاع [illegible] وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف [illegible] (فمن لم يجد)

الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع)
الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر او
صاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع فى خلال الاطعام
(ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل
بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) اى
الاحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين)
الذين لا يتبعونها (عذاب أليم) مؤلم (ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون
(كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من أعداء الرسل (وقد أنزلنا
آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به (وللكافرين) بهذه الآيات
(عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين او باضمار اذكر
تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث او مجتمعين فى حال واحدة
(فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما
يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ
(ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ
شهيد) لا يغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون)
من كان التامة اى ما يقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجى وقد أضيفت الى ثلاثة اى
من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) اى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا
أقل (من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد
تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت فى المنافقين وكانوا
يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة
ولا أدنى من عددهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان أهل التناجى فى العادة
طائفة من أهل الرأى والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى
ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال لا أدنى من ذلك فدل على الاثنين
والاربعة وقال ولا أكثر ودل على ما يقارب هذا العدد (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم
القيامة) يجازيهم عليه (ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود والمنافقون
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم
فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن اقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله)
... ان فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على

عباده الذين اصطفى و يا أيها الرسول و يا أيها النبي (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول) اى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى (حسبهم جهنم)
عذابا (يصلونها) حال اى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم (يا أيها الذين آمنوا)
بألسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) اى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم
بالشر (وتناجوا بالبر) بأداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا
الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير او شر (انما النجوى)
بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) اى الشيطان وبضم الياء نافع
(الذين آمنوا وليس) الشيطان او الحزن (بضارهم شيأ الا بأذن الله) بعلمه وقضائه وقدره
(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى يكلون أمرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان
(يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه فى المجالس عاصم ونافع
والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه
وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله
مقاعد للقتال مقاتل فى صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا (يفسح الله لكم) مطلق فى كل
ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا)
انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم
بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدنى
وشامى وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله
(والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفى الدرجات
قولان أحدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود رضى
الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى
الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى واسطة
بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما
خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال
صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن
بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ أدرك من فاته العلم واى شئ فات من أدرك العلم وعن
الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلم أنواع فأشرفها تمرتها معموم (يا أيها
الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة)
اى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه من أفضل ما أوتيت

العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فأجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما علىّ قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف أدعو الله تعالى قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فاذلم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) اى خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله) اى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ماهم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) اى يقولون والله انا مسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله فى الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) فى الدنيا (على شئ) من النفع او يحسبون انهم على شئ من النفع ثم بأيمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (ألا انهم هم الكاذبون) حيث [illegible] فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فأنساهم

ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف او باحدهما (ان الله قوى) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد او حال او صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) اى من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى الزجر عن مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اى أثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) اى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز ابن أبى روادانه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه وأخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا اوغناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة او بما قضى عليهم فى الدنيا (أولئك حزب الله) أنصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

﴿ سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى [illegible] بأسرها فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له [illegible] الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد [illegible] كعب بن الاشرف

فى أربعين راكبا الى مكة فحالف أباسفيان عند الكعبة فأمر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم وحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشأم الى اريحاء واذرعات (هو الذى أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام فى (لاول الحشر) تتعلق باخرج وهى اللام فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وقولهجئته لوقت كذا اى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشران هذا أول حشرهم الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشأم اوهذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام اوآخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما من شك أن المحشر بالشأم فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثانى وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا أمضوا فانكم أول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى أرض الشأم وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب و بين النظم الذى جاء عليه أن فى تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم او يطمع فى معازاتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم (فأتاهم الله) اى أمر الله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله اى فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) يخربون أبوعمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين انهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا أولى الابصار) اى تتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا ان

تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهذا دليل على جواز القياس (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا اوقتلوا (فى الآخرة عذاب النار) الذى لا أشد منه (ذلك بأنهم) اى انما أصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله ورسوله (فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل اى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما فى قوله (اوتركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ماقبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على أصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها (وما أفاء الله على رسوله) جعله فيأ له خاصة (منهم) من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل اوركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما أوجفتم على تحصيله وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى ان ما خوّل الله رسوله من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى مافى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولا يقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مايصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة (كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة مايدول للانسان اى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) اى ما أعطاكم من قسمة غنيمة أوفىء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه (واتقوا الله) ان تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من

لله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عزوجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عزوجل (المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار وأموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) اى يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) اى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * او وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك او أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوئ دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون فى أنفسهم طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شئ منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطى المهاجرون من الفيء حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال اى مفروضة خصاصتهم روى انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام وأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة أنفس حتى عاد الى الاول أبو زيد قال لى شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفيء كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين جاؤا (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون

والانصار عائشة رضي الله عنها أمروا بأن يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعني الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ماتقول في عثمان وطلحة والزبير قال أقول ماقولنيه الله وتلى هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله (ألم ترالى الذين نافقوا) اى ألم تريامحمد الى عبدالله بن أبيّ وأشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروامن أهل الكتاب) يعني بني النضير والمراد اخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن أبيّ وأصحابه دسوا الى بني النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) في قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او في خذلانكم واخلاف ماوعدنا كم من النصرة (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرونهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم اوليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) اى أشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لايعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعني اليهود والمنافقين (الا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والدروب (اومن وراء جدر) جدار مكي وأبوعمرو (بأسهم بينهم شديد) يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) اى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوي ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بأنهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قريبا) اى استقروا من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة [illegible] وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ [illegible] عذاب القتل في الدنيا (ولهم عذاب أليم) اى ولهم في [illegible] عذاب [illegible] (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني [illegible] رب العالمين) اى مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال [illegible] انهم [illegible] متاركتهم

لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان (أنهما فى النار خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان مقدم وأن مع اسمها وخبرها اى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى أوامره ولا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة (ما قدمت لغد) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له اوعبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره اى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وهو (ان الله خبير بما تعملون) وفيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فأنساهم أنفسهم) وتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدل الشافعية بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) اى من شأن القرآن وعظمته انه لو جعل فى الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع اى لخضع وتطأطأ وتصدع اى تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى أمثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من أشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) اى السر والعلانية او الدنيا والآخرة او المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن وعن الزجاج الذى آمن الخلق من ظلمه اوالمؤمن من عذابه من

اطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا أن همزته قلبت هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه او العظيم الشأن فى القدرة والسلطان اوالقهار ذوالجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هوالله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له مافى السموات والارض وهوالعزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبى بلتعة الى أهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال أخرجى الكتاب اوتضعى رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح الا أربعة هى أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلى فأردت ان أتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) تعدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر

أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان (تلقون) حال من الضمير فى لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالمودة) اومستأنف بعدوقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء فى بالمودة زائدة مؤكدة للتعدى كقوله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة اوثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لا تتخذوا أومن تلقون اى لا تتولهم اوتوادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم اوحال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون اى يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا اى لا تتولوا اعدائى ان كنتم أوليائى وقول (٢) النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جهادا فى سبيلى) مصدر فى موضع الحال اى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وابتغاء مرضاتى) ومبتغين مرضاتى (تسرون اليهم بالمودة) اى تفضون اليهم بمودتكم سرا اوتسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى اى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وأنا مطلع رسولى على ما تسرون (ومن يفعله) اى هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم اعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة امثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده ان يقصد اهم شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يَفصِلُ عاصم يَفصِلُ حمزة وعلى والفاعل هو الله عزوجل يُفصَلُ ابن ذكوان غيرهم يُفصَلُ (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم (قد كانت لكم أسوة) قدوة فى التبرئ من الاهل (حسنة فى ابراهيم) اى فى أقواله ولهذا استثنى منها الاقول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال [illegible] (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وحينئذ نترك عداوتكم (الا قول

ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه اى اقتدوا به فى أقواله ولا تأتسوا به فى الاستغفار لابيه الكافر (وما أملك لك من الله من شئ) اى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لاتليق بالاستثناء ألاترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كأنه قال استغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه (واليك أنبنا) أقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لاتسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) اى الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وأبدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله اى ثوابه اى يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما أنزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين أطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من أهل مكة من أقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى اولعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك اوأريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن اسلم من المشركين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على انه بدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولى غير موضعه (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات [illegible] بكلمة الشهادة اولانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) [illegible] (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم [illegible] وعن ابن عباس امتحانها ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول [illegible] الله اعلم بايمانهن) منكم فانكم وان رزتم احوالهن لاتعلمون ذلك حقيقة [illegible] حقيقة العلم به (فان

علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب ومايفضى اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ماليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) اى لاحل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور نزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على أهل مكة من جاء مؤمنا منهم فأنزل الله هذه الآية بيانا ان ذلك فى الرجال لا فى النساء لان المسلمة لاتحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) اى مهورهن لان المهر أجر البضع وبه احتج أبوحنيفة رضى الله عنه على ان لاعدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصرى (بعصم الكوافر) العصمة مايعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب اولحقت بدار الحرب مرتدة اى لايكن بينكم و بينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسئلوا ماأنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسئلوا ماأنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات ممن تزوجها منا (ذلكم حكم الله) اى جميع ماذكر فى هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله اوجعل الحكم حاكما على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لاما ولا منهم (والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) وان انفلت أحد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أحد (فعاقبتم) فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا) فأعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة (واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك فى معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) تمحيق ماسلف (رحيم) بتوفيق مااتنف وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بأمره و يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة

خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني أصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزنى الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) اى كما يئسوا الا أنه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم اوكما يئس أسلافهم الذين هم في القبور من الآخرة اى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود اى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت في التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من أصحاب القبور بيان للكفار اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا اقبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم

﴿ سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روى أنهم قالوا قبل أن يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام اوغيرها كشئ واحد وهو كثير الاستعمال في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال * على ما قام يشتمني جرير * والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون

مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال أتأمروننى ان أقول مالا افعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عزوجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) اى صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فىّ (وقد تعلمون) فى موضع الحال اى تؤذوننى عالمين علما يقينا (أنى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى لا أن تؤذونى (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) من الهداية اولما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم اوفلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم اى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يهدى من سبق فى علمه أنه فاسق (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) اى أرسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدىَ حجازى وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى او محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين) واىّ الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) هذا تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفؤا نور الله بأفواههم اى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص متمٌ نورهِ غيرهم اى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) اى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فما بقى دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن فى الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) تنجّيكم شامى (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون [illegible] سيبويه ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود

آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكأنه
امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم ذلكم) اى ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم
وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك
واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون وتخلصون
(يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات
عدن) اى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى
تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة أخرى
عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) اى عاجل وهو فتح مكة
والنصر على قريش أوفتح فارس والروم وفى تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل
وقال صاحب الكشف (٢) معناه هل أدلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة أخرى تحبونها ثم
قال نصر اى هى نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كأنه
قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف
على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله)
اى أنصار دينه أنصارا لله حجازى وأبو عمرو (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من
أنصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى من أنصارى الى الله ولكنه محمول
على المعنى اى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصارى
الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال
الحواريون نحن أنصار الله) اى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الانصار
الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به
وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص
وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل)
بعيسى (وكفرت طائفة) به (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنهم على
كفارهم (فأصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم

﴿سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح اما أن
يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى كل شيء دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه
عن الاشباه أوتسبيح معرفة بأن يجعل الله بلطفه فى كل شيء ما يعرف به الله تعالى وينزهه
ألا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم أو تسبيح
ضرورة بأن يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة [illegible] (هو الذى بعث)

أرسل (فى الاميين رسولا منهم) اى بعث رجلا اميا فى قوم أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله والامى منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار (يتلوا عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة او الفقه فى الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا فى ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم اوهم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم اومنصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى أعطاه محمدا وهو أن يكون نبى أبناء عصره ونبى أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) اى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال او الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى وقت اختيارهم الظلم اولا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما (قل يا ايها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التى اعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا

يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيدلهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) ولاتجسرون أن تتمنوه خيفةأن تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لامحالةوالجملةخبران ودخلت الفاءلتضمن الذى معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادةفينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بماأنتم أهله من العقاب (ياأيهاالذين آمنوا اذانودى للصلوةمن يوم الجمعة) النداءالاذان ومن بيان لاذاوتفسيرله ويوم الجمعةسيدالايام وفى الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر (فاسعوا) فامضواوقرئ بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (الى ذكر الله) اى الى الخطبة عندالجمهور وبه استدل أبوحنيفة رضى الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد الامر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراءعند الزوال فقيل لهم بادروا تجارةالآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكرالله الذى لاشئ أنفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله (خير لكم من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة) اى أديت (فانتشروا فى الارض) أمر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق او طلب العلم او عيادة المريض او زيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ما وفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها) تفرقواعنك اليهاوتقديره واذارأوا تجارة انفضوا اليها اولهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت أهم عندهم روى ان أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقى معه الاثمانية او اثناعشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى أن يخطب قائما (قل ماعند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) اى لايفوتهم رزق الله بترك البيع فهوخيرالرازقين والله أعلم

﴿سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذاجاءك المنافقون قالوانشهدانك لرسول الله) أرادواشهادةواطأت [illegible] (والله يعلم انك لرسوله) اى والله يعلم ان الامر كمايدل عليه قولهم [illegible] (والله يشهدان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأةاوانهم لكاذبون [illegible] عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقةفهم كاذبون فى تسميته شهادة اوانهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم

كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا أيمانهم جنة) وقاية من السبي والقتل وفيه دليل على أن أشهد يمين (فصدوا الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير (٢) والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون اى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (بأنهم) بسبب أنهم (آمنوا ثم كفروا) اوالى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب انهم آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك اونطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون أولا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لرسول الله اولكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهيا كلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كانهم خشب اوهو كلام مستأنف لا محل له (مسندة) الى الحائط شبهوا فى استنادهم وماهم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع اولانهم اشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام خشب أبو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول أول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر اوانفلتت دابة اوأنشدت ضالة ظ...ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) اى هم الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو ...اجبى ...ى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) د...اء عا...م اوتعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا ...ن ...لهم وضلالهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا ولووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول ... صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ... ...جاه بن سعيد أجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبى واقتتلا فصرخ

جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبدالله لجعال وأنت هناك وقال ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعزمنها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لوأمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبدالله أنت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قدوهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبدالله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى ان أومن فآمنت وامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت ومابقى لى الا ان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما حتى اشتكى ومات (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) اى ماداموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم او لان الله لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) اى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لا ذل معه والغنى الذى لا فقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم (اموالكم) وا لتصرف

فيها والسعى فى تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا أولادكم) وسروركم وبهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) اى عن الصلوات الخمس اوعن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن اصلاح معاده (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل ان يأتى أحدكم الموت) اى من ان يرى قبل دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلاأخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) فأتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لامحالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجازيكم عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب

﴿ سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عزوجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) اى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) اى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن [illegible] وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن [illegible] الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) اى جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته [illegible] غير ممسك ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن

الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) اى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعد لهم من العذاب فى الآخرة (بأنه) بأن الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) اى أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) ان مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد لن وهو البعث (وربى لتبعثن) أكد الاخبار باليمين * فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه * قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراغبوا وحذروا (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر اى عملا صالحا (يكفر عنه سيآته ويدخله جنات) و بالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل اوشئ يقتضى هما (الا باذن الله) الا بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة ان تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا

لله وانا اليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اى فعليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم) اى ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدوّ فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) تستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم قيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا ان يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) اى فى الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما فى العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وانفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) اى انفقوا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم واعملوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) [illegible] وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا [illegible] الى ما شاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقيل الجاهل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) اى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أى ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) فى الاخبار [illegible] والله أعلم

﴿سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادّا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنون ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا أثر له في رفع الحظر (ولا يخرجن) بأنفسهن ان أردن ذلك (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هي الزنا اى الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه (وتلك حدود الله) اى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري) أيها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) قاربن آخر العدة (فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) أى فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعني عند الرجعة [illegible] وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل [illegible]) (وأقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها [illegible] لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر [illegible] لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) [illegible] ينتفع

به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به اى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم انى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك أسر المشركون ابناله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله أمرنى واياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين (ان الله بالغ أمره) حفص اى منفذ أمره غيره بالغ أمره اى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) اى أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن (فعدتهن ثلاثة أشهر) اى فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (أن يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الاجلين (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) اى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (أنزله اليكم) من اللوح المحفوظ (ومن يتق الله) فى العمل بما أنزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم)

هى من التبعيضية مبعضها محذوف اى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة (٣) بنت قيس ان زوجها أبت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت اوشبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن اوغير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات احمال (فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم (فان أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن اومنهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن فى ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله (وأتمروا بينكم) أى تشاوروا على التراضى فى الاجرة اوليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة وقوله له اى للاب اى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق اى رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) أعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وكأين من قرية) من أهل قرية (عتت) اى عصت (عن أمر ربها ورسله) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكرا مدنى وأبو بكر منكرا عظيما (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) اى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجىء به على لفظ الماضى لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد

---

(٣) قوله لحديث فاطمة الخ هذا لا يناسب ما قبله فلعل هنا سقطا من النسخ وعبارة الكشاف وهى وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة الخ

(أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الالباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوزأن يراداحصاء السيآت واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب فى العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعدالله لهم جوابا لكأين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) اى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا او بدل من ذكرا كأنه فى نفسه ذكرا وعلى تقدير حذف المضاف اى قد أنزل الله اليكم ذاذكر رسولا أواريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى ذا شرف ومجد عند الله و بالرسول جبريل او محمد عليهما السلام (يتلوا) اى الرسول او الله عزوجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح اوليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر او الجهل الى نور الايمان او العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) بالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) أجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وان الله قد أحاط بكل شئ علما) هو تمييز اومصدر من غير لفظ الاول اى قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

﴿ سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين او من العسل (تبتغى مرضات أزواجك) تفسير لتحرم او حال اواستئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرم

ماأحل الله (والله غفور) قد غفر لك مازللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد قدرالله لكم ماتحللون به أيمانكم وهى الكفارة اوقد شرع لكم تحليلها بالكفارة اوشرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لايحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفوراله ماتقدم من ذنبه وماتأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم أنفسكم (وهوالعليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما احل وحرم (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه) يعنى حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته الى عائشة رضى الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبى صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على "اى جازى عليه من قولك للمسئ لأعرفن لك ذلك وقيل المعروف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه قال لها ألم أقل لك اكتمى على "قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها (فلما نبأها به) نبأ النبى حفصة بما أفشت من السر الى عائشة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة مايكرهه (وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفى وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) [illegible] ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صالح من المؤمنين اى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد أريد به الجمع كقولك لايفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة [illegible] ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) [illegible] والتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف [illegible] يكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين [illegible] عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان [illegible] وصاف

خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب او راجعات الى الله والى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات اوصائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجىء وقت افطاره (ثيبات وأبكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بان تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى اجرامهم غلظة وشدة او غلاظ الاقوال شداد الافعال (لا يعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل اى لا يعصون ما أمر الله اى أمره كقوله أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان فى معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر اى ذات نصوح او تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى أن يعود اللبن فى الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع بالاركان (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعد البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا

امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عزوجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم و بينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء أسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما اى عن المرأتين بحق ما بينهما و بينهما من الزواج اغناءما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم و بين الانبياء اومع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (اذقالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكأنها أرادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجنى من فرعون وعمله) اى من عمل فرعون اومن نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) فى الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) اى بصحفه التى أنزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصرى وحفص يعنى الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على أناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه واشارة الى أن من حقهما أن يكونا فى الاخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها
من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) اى بتصرفه الملك والاستيلاء

على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات اومن الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذى خلق الموت) خبر مبتدا محذوف او بدل من الذى قبله (والحيوة) اى ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الامير والاسير والحياة التى لا تفى بعليل ولا طبيب فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدأ وخبره (أحسن عملا) اى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذى هو أثر صفة القهر على الحياة التى هى أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) اى الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) الستور الذى لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر اوعلى ذات طباق اوعلى طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (ماترى فى خلق الرحمن) للرسول اولكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد اى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين اى كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة اى كرر نظرك ودققه هل ترى خللا او عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا او بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معى ولم ير فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى اى السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها بمصابيح اى بأى مصابيح لا توازيها

النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ من نار فيقتل الجنى او يخبله لان الكواكب لا تزول عن أماكنها لانها قارة فى الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (اذا ألقوا فيها) طرحوا فى جهنم كما يطرح الحطب فى النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) اى تتميز يعنى تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك وأعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى أزاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ماوقعوا فيه (فكذبنا) اى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا فى ضلال كبير) اى قال الكفار للمنذرين ما أنتم الا فى خطاء عظيم والنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذورهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك اوسموا جزاء الضلال باسمه كما سمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (او نعقل) اى نعقله عقل متأمل (ما كنا فى أصحاب السعير) فى جملة أهل [illegible] على ان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا لاصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) اى الجنة (وأسروا قولكم او اجهروا به) ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما روى أن مشركى مكة [illegible] من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوه [illegible] قولكم لئلا يسمع اله محمد ونزلت ثم علله بقوله [illegible] أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به ([illegible]) [illegible] وا[illegible] يعلم (وهو اللطيف الخبير) أنكر أن لا [illegible] خلقها

وصفته انه اللطيف اى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق أفعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا النفى خلق الافعال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشى فيها (فامشوا فى مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها او طرقها (وكلوا من رزقه) اى من رزق الله فيها (واليه النشور) اى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من فى السماء) اى من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه فكأنه قال أأمنتم خالق السماء وملكه اولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هى تمور) تضطرب وتتحرك (ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) اى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم اذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (أولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اى يصففن ويقبضن اوصافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن أصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك وجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو أمسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) اى ماهم الا فى غرور (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) أم من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا أضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (أفمن يمشى مكبا على

وجهه) اى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي معتسفا وخبرمن (أهدى) أرشد وأكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب (أمن يمشي سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستوو خبرمن محذوف لدلالة أهدى عليه وعن الكلبي عنى بالمكب أبو جهل وبالسوى النبي عليه السلام (قل هو الذى أنشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ماتشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولاتخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا ومازائدة وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) اى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) التى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فأعلمونا زمانه (قل انما العلم) اى علم وقت العذاب (عندالله وانما أنا نذير) مخوف (مبين) ابين لكم الشرائع (فلما رأوه) اى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) اى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء اى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا اوهومن الدعوى اى كنتم بسببه تدعون انكم لاتبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكني الله) اى اماتنى الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابى (اورحمنا) اوأخرفى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اماان نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ماتصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابدلكم منه (قل هو الرحمن) اى الذى ادعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه أمورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء على (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لاتناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من أراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زاد بالله بصيرة

﴿سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ن) الظاهران المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأماقول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابدله من الاعراب

سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم (والقلم) اى ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او الذى يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) اى ما يسطره الحفظة او ما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) اى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) و بنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب قولهم وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لأجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع او غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن اى ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما (فستبصر ويبصرون) اى على قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بأيكم المفتون) المجنون لانه فتن اى محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول اى بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا اى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون اى فى اى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام او فريق الكفر (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) اى هو أعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) اى هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون اى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة او كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال او مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب (زنيم) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى انه دخل على أمه وقال ان محمدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فاما الزنيم فلا علم لى به وان أخبرتنى بحقيقته والا ضربت عنقك

فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسى فأنت من ذلك الراعى (أن كان ذامال) متعلق بقوله ولا تطع اى ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذامال اى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده اى لان كان ذامال (وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حمزة وأبو بكر اى ألأن كان ذامال كذب آأن شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا لما عاب الوليد النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزى المسىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلات كانت لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لأخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل انزل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها (وهم نائمون) اى فى حال نومهم (فأصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) كالليل المظلم اى احترقت فاسودت اوكالصبح اى صارت ارضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة اى كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه اوضمن الغدو معنى الاقبال اى أقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) [illegible] (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (ان لا يدخ[illegible] مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اى يتخافتون [illegible] والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكين اى [illegible] حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند أنفسهم [illegible]

[illegible]

منفعتها عن المساكين اوهو علم للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم (فلما رأوها) اى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به أولا وأقروا على أنفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا أن يبدلنا) وبالتشديد مدنى وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم أخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) اى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) اى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) اى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت لمجىء اللام ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره اخذ خيره (أم لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت ايمان ويتعلق (الى يوم القيامة) بالغة اى انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم

وأعطينا كم ما تحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لا نقسكم وهو جواب القسم لان معنى أم لكم ايمان علينا أم أقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) اى المشركين (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بأنه يكون ذلك (أم لهم شركاء) اى ناس يشاركونهم فى هذا القول و يذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليأتوا او اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر و يصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده (و يدعون) اى الكفار ثمة (الى السجود) لا تكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لا تنثنى عند الخفض والرفع (خاشعة) دليلة حال من الضمير فى يدعون (أبصارهم) اى يدعون فى حال خشوع أبصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على ألسن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) اى وهم أصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرنى) يقال ذرنى واياه اى كله الى فانى أكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول او مفعول معه (بهذا الحديث) القرآن والمراد كل أمره الى وخل بينى و بينه فانى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا اى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لا يعلمون) من الجهة التى لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز ان يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أم تسألهم) على تبليغ الرسالة (اجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى اى لست تطلب اجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) اى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم

لانهم وان أمهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف اى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا ان تداركه نعمة) رحمة (من ربه) اى لولا ان الله أنعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وبفتح الياء مدنى ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه ازاله عن مكانه اى قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزيلوك بابصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على ان يقول فى رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفى الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة فى أمره وتنفيرا عنه (وما هو) اى القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر اى ذكره عليه السلام وما هو اى محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

﴿ سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجىء التى هى آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر اى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ما هى اى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها اى حقها أن يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وما أدراك) واى شئ أعلمك (ما الحاقة) يعنى انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وأدراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لانها مفعول ثان لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت بها

لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيراً لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فأهلكوا بريح) اى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف اوعتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) اى متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها اوفى الليالى والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة او بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قِبله بصرى وعلى اى ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهى ائتفكت اى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطا او بالفعلة او بالافعال ذات الخطا العظيم (فعصوا) اى قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فأخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (انا لما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) اى آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) اى الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (اذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا اى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف

وقيل ثمانية أصناف (يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (فأما) تفصيل للعرض (من أوتى كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل اى خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (انى ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أنى ملاق حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فى جنة عالية) رفيعة المكان او رفيعة الدرجات او رفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أكلا وشربا هنيأ لامكروه فيهما ولا أذى اوهنئتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هى فى الصائمين اى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) اى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عنى ماليه) اى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فما نفى والمفعول محذوف اى شيأ (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى اى بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) اى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى او نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بأنه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس

لا يطلبون ... [illegible]

الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له مايحمله على اطعامهم اى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم أهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت أنى ملاق حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز ان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولاطعام الا من غسلين) غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا مايسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء (ومالا تبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل انه أقسم بجميع الاشياء (انه) اى ان القرآن (لقول رسول كريم) اى محمد صلى الله عليه وسلم اوجبريل عليه السلام اى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وماهو بقول شاعر) كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الذال كوفى غير أبى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه أرض قلما تنبت اى لا تنبت أصلا والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة (تنزيل) هوتنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل) ولو ادعى علينا شيأ لم نقله (لأخذنا منه باليمين) لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو نياط القلب اذا قطع مات صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس او للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف أحد لانه فى معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله

﴿سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اوهو النبي صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدني وشامي وهو من السؤال أيضا الا أنه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب اى بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع اى واقع من عنده او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) اى مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) اى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة علينا اوأرواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (في يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك اومن صلة واقع اى يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار اولانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) اى العذاب او يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا اى يمكن في ذلك اليوم اوهو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردي الزيت او كالفضة المذابة في تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزي والبرجمي بضم الياء اى لا يسئل قريب عن قريب اى لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة اى حميما مبصرين معرفين اياهم اومستأنف كانه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثاني اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو

مستأنف اوحال من الضمير المرفوع اوالمصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التى تؤويه) تضمه انتماء اليها ويعيرهز يزيد (ومن فى الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها اوهو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر اوضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة او على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان اوعلى هى نزاعة (للشوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين اوجمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعو) باسمائهم يا كافر يامنافق الى "الى" اوتهلك من قولهم دعاك الله اى أهلكك اولما كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع المال (فأوعى) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيراً بين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى اوالمرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلاتهم) اى صلواتهم الخمس (دائمون) اى يحافظون عليها اى مواقيتها وعن ابن مسعود رضى الله عنه (والذين فى أموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة لانها مقدرة معلومة اوصدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى أبى عمرو اى لا ينبغى لاحد وان بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم) نسائهم (اوماملكت أيمانهم) اى اماءهم (فانهم غير ملومين) على ترك الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) اى غير الزوجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لامانتهم مكى وهى تتناول أمانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) اى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ما تدل

عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) سهل و بالالف حفص ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهار اللصلابة فى الدين ورغبة فى احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلاتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان أنها أهم اولان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها اوالدوام عليها أداؤها فى أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها (أولئك) أصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال اى فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من النطفة المذرة ولذلك أبهم اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم اومعناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل أحد الجنة الا بالايمان فلم يطمع أن يدخلها من لا ايمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال اى الى الداعى (كانهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون اى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أرسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه أن أنذر) خوف اصله بأن أنذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب اوأن مفسرة بمعنى

اى لان فى الارسال معنى القول (قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة اوالطوفان (قال ياقوم) اضافهم الى نفسه اظهاراللشفقة (انى لكم نذير) مخوف (مبين) ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحوان اذ فى الوجهين (واتقوه) واحذروا عصيانه (واطيعون) فيما آمركم به وانها كم عنه وانما اضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اوللتبعيض لان مايكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهووقت موتكم (ان أجل الله) اى الموت (اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون) اى لو كنتم تعلمون مايحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى اى تبلغوا ألف سنة ثم أخبران الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام امنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لولم يؤمنوا اى انكم ان أسلمتم بقيتم الى أجل مسمى آمنين من عدوكم (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائبا بلا فتور (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان أبى قد وصانى به (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) اى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال اى مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار أحد نوعى الدعاء يعنى اظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) اى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفارا للذنوب

من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة اوسبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مالكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أولا تأملون له توقيرا اى تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال اى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا اى تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر فى أنفسهم لانها أقرب ثم على النظر فى العالم وماسوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضا على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر وأجمعوا على أن الشمس فى السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) أنشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة (اخراجا) أكده بالمصدر اى أى اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة اومختلفة (قال نوح رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) اى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) اى الرؤساء وأصحاب الاموال والاولاد وولده مكى وعراقى غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسد (الاخسارا) فى الآخرة (ومكروا)

معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم
الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن
الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير
(وقالوا) اى الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم اى عبادتها (ولا تذرن ودا)
بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة
امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان
للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا أعجميين (ونسرا) هو
على صورة نسر اى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكانها كانت أكبر أصنامهم
وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب
فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء
رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى
لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم (وقد أضلوا)
اى الاصنام كقوله انهن أضللن (كثيرا) من الناس او الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف
على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه
ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين اى قال هذين القولين وهما فى محل النصب
لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا (مما خطيئاتهم)
خطاياهم أبو عمرو اى ذنوبهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما
خطيئاتهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من أجل خطيئاتهم
وأكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة
من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فأدخلوا للايذان بأنهم عذبوا بالاحراق عقيب
الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا)
ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا) اى أحدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى
العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا) الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن (رب اغفر لى ولوالدى) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء وقيل
هما آدم وحواء وقرئ ولولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى او مسجدى او
سفينتى (مؤمنا) لانه علم ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات)
الى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات
(ولا تزد الظالمين) اى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فاهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما
دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة وأخرى على الكافرين بالتبار

وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالنار فاستحال أن لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا وقيل علم الله براءتهم فأهلكوا بغير عذاب والله أعلم

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل) يا محمد لأمتك (أوحى الىّ أنه) ان الامر والشأن أجمعوا على فتح أنه لا نه فاعل أوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على أنه استمع فأن مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا والتعدى يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء و بعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لا نه مبتدأ محكى بعد القول واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من أنه تعالى جد ربنا الى وأنا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير أبى بكر عطفا على أنه استمع او على محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشرة (من الجن) جن نصيبين (فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب او الى التوحيد والايمان (فآمنا به) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله و بوحدانيته و براءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) من خلقه وجاز أن يكون الضمير فى به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وأنه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان فى عينى اى عظم ومنه قول عمر او أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم فى عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والانس (وأنه كان يقول سفيهنا) جاهلنا او ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار اى بعدت او قولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا او مكذوبا فيه او نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول اى كان فى ظننا ان أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) اى زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس او فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان المحظور (وأنهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم)

يا أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت اى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا واوأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب اى كواكب مضيئة (وأنا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد اى يجد شهابا راصدا له ولاجله اوهو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وأنا لا ندرى أشر) عذاب (أريد بمن فى الارض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وأنا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه اوأرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب متفرقة اوأديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير اى قطعته (وأنا ظننا) أيقنا (أن لن نعجز الله) لن نفوته (فى الارض) حال اى لن نعجزه كائنين فى الارض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر فى موضع الحال اى ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن او بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) اى ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على أن العمل ليس من الايمان (وأنا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى اى الاولى (وأما القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على أن الجنى الكافر يعذب فى النار ويتوقف فى كيفية ثوابهم (وأن) مخففة من الثقيلة يعنى وانه وهى من جملة الموحى اى أوحى الى ان الشأن (لو استقاموا) اى القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن او التوحيد او العبادة (يسلكه) بالياء عراقى غير أبى بكر

يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شئ ما تصعدتنى خطبة النكاح اى ماشق علىّ (وأن المساجد لله) من جملة الموحى اى أوحى الى أن المساجد اى البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فى المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره وأوحى الى أنه لما قام عبد الله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله اورسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبى صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع أو لان عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما أدعوا ربى) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحدا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل انى لا أملك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا وأراد بالضر الغى بدليل قراءة أبىّ غيا ولا رشدا يعنى لا استطيع ان أضركم وان أنفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل انى لن يجيرنى من الله احد) لن يدفع عنى عذابه أحد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا أملك اى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اى لن أجد من دونه منجى الا ان أبلغ عنه ما أرسلنى به يعنى لا ينجينى الا ان أبلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا أبلغ بلاغا اى ان لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كانه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات اى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان أبلغ رسالته التى أرسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هى بمنزلة من فى براءة من الله اى بلاغا كائنا من الله (ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على أثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون اى الكفار لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وأنبياؤه (قل ان أدرى) ما أدرى (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى)

و بفتح الياء حجازى وأبو عمرو (أمدا) غاية بعيدة يعنى انكم تعذبون قطعا ولكن لا أدرى أهو حال أم مؤجل (عالم الغيب) هو خبر مبتدا اى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ما شاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق (فانه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا) اى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى أبلغوا لمعناه (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى وعلم كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاء والله أعلم

﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يا أيها المزمل) اى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى كان النبى صلى الله عليه وسلم [illegible] الليل [illegible] فامر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (او انقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (او زد عليه) على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص عنه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والاطلاق لفظ القليل يطلق على ما دون النصف ولهذا لو قال لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه أكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل اى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك اى مرتل وثغر رتل ايضا اذا كان مستوى البنيان او اقرأ على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف وتمام الحركات (ترتيلا) هو

تأكيد فى ايجاب الامر به وانه لا بد منه للقارئ (انا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) اى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين اوثقيلا على المنافقين اوكلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف (ان ناشئة الليل) بالهمز سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية اوالعبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث اوساعات الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هى أشد وطاء) وفاقاشامى وأبو عمرو اى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ اى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك اوفراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا ومافيها والتماس ماعند الله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد اى بتلك الله فتبتل تبتيلا او جىء به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع اى هورب اومبتدأ خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لأفعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا أحد فى الدار الا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا اوكفيلا بما وعدك من النصر او اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب وان لا اله الا هو فاتخذه كافيا لامورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار (واصبر على مايقولون) فى [illegible] الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم بقلبك [illegible] مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرنى) اى [illegible] (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه اوعطف على ذرنى اى دعنى [illegible] التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم [illegible] (ان لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) [illegible] (وطعاما ذا غصة) اى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه الى القلب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له [illegible] ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة

فأخبرثابت البنانى وغيره فجاؤا فلم يزالوابه حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل اى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الارض والجبال) اى تحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا أرسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) اى ذلك الرسول اذ النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون اى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم اوظرف اى فكيف لكم التقوى فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اومنصوب بكفرتم على تأويل جحدتم اى كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف اى فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا اى السماء على عظمها واحكامها تنفطر به اى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف اوالسماء شئ منفطر وقوله به اى بيوم القيامة يعنى انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهواليوم اوالى الفاعل وهو الله عزوجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل فاستعير الأدنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلاتوكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) اى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) اى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عزوجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص [illegible] انهم قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) [illegible] المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) [illegible] وأسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والأمر للوجوب [illegible] (ماتيسر) عليكم (من القرآن) روى أبوحنيفة عن [illegible] رضى الله عنه انه قال

من قرأمائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأمائتى آية كتب من القانتين وقيل أراد بالقرآن الصلاة لانه بعض أركانها اى فصلوا ماتيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) اى انه مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى الارض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة اوطلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سوّى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب الىّ من ان أموت بين شعبتى رحل اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه) اى ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثانى لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) واجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير فى الحسنات (ان الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن أهل الجهد والتوفير وهو على مايشاء قدير والله أعلم

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهى ست وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

روى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت الى فوق فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (ياأيها المدثر) اى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد وأصله المتدثر فأدغم (قم) من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه

فاغتم فتعطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم اى لا يكبر فى عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله الله أكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى فى غير الصلاة او فقصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة اوطهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه (فاهجر) اى أثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال اى لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا اوطالبا أكثر مما أعطيت فانك مأمور بأجل الاخلاق وأشرف الآداب وهو من من عليه اذا أنعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر فى الناقور) نفخ فى الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا ما دل عليه الجزاء اى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكد قوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين اوعسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) اى كله الى [illegible] الوليد ابن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف اومفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى اى ذرنى وحدى معه فانى أكفيك أمره اومن التاء فى خلقت اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد اومن الهاء المحذوفة اومن اى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر [illegible] عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له [illegible] عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل [illegible] يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اى يرجو أن أزيد فى [illegible] من غير شكر وقال الحسن ان أزيد أن أدخله الجنة فاوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين [illegible] وولدا (كلا) ردع

له وقطع لرجائه اى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية
فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا
وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه جحد آيات المنعم
وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة
المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك
أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده
ويعاقبه فى الآخرة باشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر
ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل) لعن (كيف قدر)
تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثانى أبلغ من
الاول (ثم نظر) فى وجوه الناس اوفيما اقدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد
فى التقبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه او عن مقامه وفى مقاله
وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين
الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ماهذا (الاسحر يؤثر) يروى عن السحرة
روى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس
ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو
وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال أبوجهل وهو ابن أخيه أنا أكفيكموه فقعد اليه
حزينا وكلمه بما أحماه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق
وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط
وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو
ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله
الا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء
دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (ان هذا الاقول البشر)
ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه)
سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث
(وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لا تبقى) اى هى لا تبقى لحما (ولا تذر) عظما أو لا تبقى
شيأ يبقى ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدا محذوف اى
هى لواحة (للبشر) [illegible] ظاهر الجلد اى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها)
على سقر (تسعة عشر) اى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من
الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا (وماجعلنا أصحاب النار) اى خزنتها (الاملائكة)
لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لانهم أشد الخلق بأسا فللواحد منهم
[illegible] (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الا فتنة) اى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا)

حتى قال أبوجهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة اى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب فى الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل او يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى اى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب واى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم [illegible] من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص (كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ما قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبوجهل لعنه الله أما لرب محمد أعوان الا [illegible] عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الا هو) [illegible] عشرين ولكن له فى هذا العدد [illegible] سقر وهى ضميرها اى وما سقر وصفتها (الا ذكرى) [illegible] للبشر او ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان [illegible] ان تكون لهم ذكرى

لانهم لايتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذاد بر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) اضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى اى لاحدى البلايا اوالدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لهـا كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى اى أنها لاحدى الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (او يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى (كل نفس بمـا كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بمـا كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانمـا هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بمـا كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) اى أطفال المسلمين لانهم لا أعمال لهم يرهنون بها والا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق (فى جنات) اى هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم (ماسلككم فى سقر) أدخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانمـا يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم لان ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) اى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع فى الباطل اى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث ان من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فمـا لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة اى القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائمـا (كأنهم حمر) اى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى اى استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة اوالاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من

السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) اى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا أن يشاء الله) الا وقت مشيئة الله والا بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) فى الحديث هو أهل ان يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه والله أعلم

﴿ سورة القيامة مكية وهى أربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) اى أقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله

* فى بئر لا حور سرى وما شعر * وكقوله

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل أقسم بيوم القيامة وقيل أصله لأقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف اى لانا أقسم ويقويه انه فى الامام بغير الالف ثم أشبع فظهر من الاشباع الف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الاغلب وقد يفارقه (ولا أقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على أنه قسم آخر وعن الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح اى النفس المتقية التى تلوم على التقصير فى التقوى وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف اى لتبعثن دليله (أيحسب الانسان) اى الكافر المنكر للبعث (أن لن نجمع عظامه) بعد تفرقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) أوجبت ما بعد النفى اى بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير فى نجمع اى نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت (على أن نسوى بنانه) أصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير [illegible] شخص (وخسف القمر) وذهب ضوءه [illegible] بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) اى جمع بينهما [illegible] المغرب او جمعا فى ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان فى البحر فيكون [illegible] الكبرى (يقول الانسان)

الكافر (يومئذ أين المفر) هومصدر اى القرارمن النار اوالمؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لاملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد اوموضع قرارهم من جنة اونارمفوّض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم) من عمل عمله (وأخر) مالم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة اوأنثه لانه أراد به جوارحه اذجوارحه تشهد عليه اوهو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قدجاءكم بصائرمن ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبرالانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوزأن يكون الملك الموكل عليه (ولوألقى معاذيره) أرخى ستوره والمعذارالستر وقيل ولوجاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن يتفلت منه فقيل له لاتحرك لسانك بقراءة الوحى مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) اى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) اى قراءته عليك (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شئ من معانيه (كلا) ردع عن انكارالبعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكارها عليه وأكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كانه قيل بل أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدارالآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالياء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه اى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار فى دار القرار (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفرة (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) اى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) وقف حفص على من وقيفة اى قال حاضر والمحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به

من الرقية من حد ضرب اوهو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق) ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه اى مساق العباد الى حيث أمر الله اما الى الجنة اوالى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان او فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه مايكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أيحسب الكافر أن يترك مهملا لايؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (الم يك نطفة من منى يمنى) بالياء ابن عامر وحفص اى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) اى صار المنى قطعة دم جامد بعد أربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) اى من المنى الصنفين (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله أعلم

﴿سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل اتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيأ مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بأنه قد اتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان اى اتى عليه حين من الدهر غير مذكور (انا خلقنا الانسان) اى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم ايضا وحين [illegible] على هذا مدة لبثه فى بطن امه الى ان صار شيأ مذكورا بين الناس [illegible] نعت او بدل منها اى من نطفة قد امتزج [illegible] كبرمة اعشار فهو لفظ مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد [illegible] مريدين ابتلاءه بالامر والنهى له (فجعلناه سميعا بصيرا) [illegible] (انا هديناه

السبيل) بيناله طريق الهدى بادلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حالان من الهاء فى هديناه اى ان شكر وكفر فقد هديناه السبيل فى الحالين اومن السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعدلهما فقال (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وأبو عمرو وحمزة وبه لينا سب اغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (وأغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر او بار كرب وأرباب وشاهد واشهاد وهم الصادقون فى الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كأس) خمر فنفس الخمر تسمى كأسا وقيل الكأس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ماتمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) اى منها او الباء زائدة او هو محمول على المعنى اى يلتذ بها او يروى بها وانما قال أولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لان الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأنه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما أوجبوا على أنفسهم وهو جواب من عسى أن يقول ما لهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) اى حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة اليه او على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) مأسورا مملوكا او غيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اى لطلب ثوابه اوهو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم وان لم يقولوا شيأ (لا نريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر (انا نخاف من ربنا) اى انا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة او انا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم بصفة أهله من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع ما بين عينيه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا فى الوجوه (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت فى على وفاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا بذلك عشاءهم على أنفسهم مسكينا ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا الا الماء فى وقت الافطار

(جنة) بستانا فيه مأكل هنئ (وحريرا) ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم فى جزاهم (فيها) فى الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا يرون) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فيها) فى الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر والزمهرير البرد الشديد وقيل القمر اى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة اى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كانهم وعدوا بجنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم اومعطوفة عليها اى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) اى يدير عليهم خدمهم كؤس الشراب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء (وأكواب) اى من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له (كانت قوارير) كان تامة اى كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من فضة) اى مخلوقة من فضة فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى مافيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنة فضة قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين فى الاول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به لان الثانى بدل من الاول (قدروها تقديرا) صفة لقوارير من فضة اى أهل الجنة قدروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم اوالسقاة جعلوها على قدر رى شاربها وهى ألذ لهم وأخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض (ويسقون) اى الابرار (فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيل اى عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين اوولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه أزين فى النظر من المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف اى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره واذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا يروى ان أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل ملك

لا يعقبه هلاك اولهم فيها مايشاؤن اوتسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب وبالسكون مدنى وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) اى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع أخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثانى اوعكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (أساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا أحد من أهل الجنة الا وفى يده ثلاثة أسورة واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) أضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال أخذنا من الوسائط فاذاهم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم اولانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الاحكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (اوكفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل ماهو اثم اوكفر اوغير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا فى الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر اى لا تطع احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما معا لا عن طاعة احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا انهى وقيل او بمعنى ولا اى ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (واصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) اى تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه اونصفه اوثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة [illegible] الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم اوخلف ظهورهم (يوما [illegible] يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم

وشددنا) احكمنا (أسرهم) خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) اى اذا شئنا اهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم فى الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله (وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكى وشامى وأبو عمرو ومحل (الا ان يشاء الله) النصب على الظرف اى الا وقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة فى الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا فى الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (فى رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء أن يدخل كلا فى رحمته لانه شاء ايمان الكل والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء فى رحمته وهو الذى علم منه أنه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة فى غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (أعد لهم عذابا أليما) نحو أوعد وكافأ

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا اونذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى اونشرن الشرائع فى الارض اونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين اونذرا للمبطلين اوأقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه [illegible] فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله [illegible] ويشكرونها واما نذرا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال اى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا او مفعول له اى أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران اونذرا أبو عمرو وكوفى غير أبى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفور والشكور وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له (ان ما توعدون) ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لا ريب فيه وهو [illegible] ولا وقف الى هنا لوصل جواب القسم (واذا النجوم طمست) [illegible] وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها [illegible] يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت [illegible] من أماكنها (واذا الرسل أقتت) اى رقتت كقرئت [illegible] من الواو

ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لأى يوم أجلت)
أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت
من الوقت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين
الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ
وان كان نكرة لانه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع
للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه
(للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم
الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لأهل مكة اى ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين
مثل ما فعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل
بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء
مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) اى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو
الرحم ومحل (الى قدر معلوم) الحال اى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله
وحكم به وهو تسعة أشهر او ما فوقها او ما دونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم
القادرون) فنعم المقدرون له نحن اوقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق
لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة
الفطرة (ألم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت
كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة أحياء وأمواتا او بفعل
مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت اى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها
والتنكير فيهما للتفخيم اى تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وجعلنا فيها
رواسى) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ
للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) اى يقال للكافرين يوم
القيامة سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل)
دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم
تفرق ثلاث فرق (لاظليل) نعت ظل اى لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولا
يغنى) فى محل الجر اى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (انها) اى النار
(ترمى بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر
الواحدة قصرة (كانه جمالة) كوفى غير أبى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر)
جمع أصفر اى سود تضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم
والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بان هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ
بنصب اليوم اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن
هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف

فى بعضها يختصمون و فى بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى اى لا يكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسىء بالجزاء (جمعنا كم) يامكذبى محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على تخليص أنفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) اى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى المحسنين) فأحسنوا تجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون اى ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله أعلم

﴿سورة النبا مكية وهى أربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عن ما وقرىء بها ثم أدغمت النون فى الميم فصار عما وقرىء بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبا العظيم) اى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره ثم يتساءلون يتساءلون عن النبا العظيم (الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من قطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون [illegible] ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف [illegible] هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون [illegible] (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر بأن الثانى ابلغ من الاول [illegible] (الم نجعل الارض) [illegible] انكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف اليه البعث [illegible] تكوين قدرته على

البعث وماهو الا اختراع كهذه الاختراعات اوقيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدي الى انه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء مالا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة اى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان اوغلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا اى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) اى السحائب اذا أعصرت اى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض اوالرياح لانها تنشئ السحاب وتدر أخلافه فيصح أن يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلأ (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع وأجذاع اولفيف كشريف وأشراف أولا واحد له كاوزاع اوهي جمع الجمع فهي جمع لف واللف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل الى ألفافا والوقف الضروري على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء اوميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل اوعطف بيان (فى الصور) فى القرن (فتأتون أفواجا) حال اى جماعات مختلفة اوأمما كل امة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفي اى شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج وما لها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى هباء تخيل الشمس أنه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق فالمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها وقيل المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد اى هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم اوهي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها (للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث أقوى لان اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (أحقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا أريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب (٢) بعد عشرين سنة لابثين فيها أحقابا (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) اى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عدوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا

باحقاب أخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم اى لابثين فيها حقبين جهدين ولا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسيرله وقوله (الا حميما وغساقا) استثناء منقطع اى لا يذوقون فى جهنم أوفى الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم حر النار اونوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم و بالتشديد كوفى غير أبى بكر (جزاء) جوز واجزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة اوذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) لا يخافون محاسبة الله اياهم اولم يؤمنوا بالبعث فيرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (أحصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح حال او مصدر فى موضع احصاء اوأحصيناه فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات اى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعل من الفوز يصلح مصدرا اى نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم أبدل منه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا) كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات فى السن (وكأسا دهاقا) مملوأة (لا يسمعون فيها) فى الجنة حال من ضمير خبران (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائى خفيف بمعنى مكاذبة اى لا يكذب بعضهم بعضا أولا يكاذبه (جزاء) مصدر اى جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر او بدل من جزاء (حسابا) صفة يعنى كافيا او على حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم [illegible] خبر مبتدا محذوف او مبتدأ خبره الرحمن اوالرحمن صفته ولا يملكون خبراوهما خبران والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض وفى (منه خطابا) لله تعالى اى لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه اولا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا للا يملكون لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا للا يتكلمون تقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) حال اى مصطفين (لا يتكلمون) اى الخلائق ثم خوفا (الا من أذن له الرحمن [illegible] (وقال صوابا) حقا بان قال المسيئ [illegible] فى الدنيا [illegible] صواب فى أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه [illegible] مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا [illegible] ما هو آت قريب

(يوم ينظر المرء) الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا (ماقدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتخصيص الايدى لان أكثر الاعمال تقع بها وان احتمل أن لا يكون للايدى مدخل فيما ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم او المرء عام وخص منه الكافر وماقدمت يداه ماعمل من خير وشر او هو المؤمن لذكر الكافر بعده وماقدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه اوموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف اى ماقدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى أن يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم

﴿سورة النازعات ست وأربعون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لووصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا اى اغراقا فى النزع اى تنزعها من أقاصى الاجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر امرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم او دنياهم كما رسم لهم او بخيل الغزاة التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه او بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى أقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة (يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى وبينهما أربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أبصارها) اى أبصار اصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ماترى

خبرها (يقولون) اى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وانكاراللبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الانكاراى أنرد بعدموتنا الى أول الامرفنعود أحياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى حالتـه الاولى ويقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهى الصفقة أنكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل أبلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما باليـة واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) اى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران اوخاسرأصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عزوجل فانها سهلة هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وقيل الساهرة أرض بعينها بالشأم الى جنب بيت المقدس اوأرض مكة اوجهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب أن يشيع والتشريف للمخاطب به (اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاى حجازى (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ثم أدخلت مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فأراه الآية الكبرى) اى فذهب فأرى موسى فرعون العصا او العصا واليد البيضاء لانهما فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته او لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) [illegible] (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه [illegible] (فقال أنا ربكم الاعلى) [illegible] فوقى وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) [illegible] الآخرة [illegible] النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على [illegible] بمعنى نكل كأنه قيل

نكل الله به نكال الآخرة اى الاحراق (والاولى) اى الاغراق او نكال كلمتيه الآخرة وهى أنا ربكم الاعلى والاولى وهى ماعلمت لكم من اله غيرى و بينهما أربعون سنة او ثلاثون او عشرون (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يامنكرى البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا او انشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر اى أم السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) اى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلمتها والشمس سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بألفى عام ثم فسر البسط فقال (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج او أخرج حال باضمار قد (والجبال أرساها) أثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولا نعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت اى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعى) مصدرية اى سعيه او موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فأما) جواب فاذا اى اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هى المأوى) المرجع اى مأواه والالف واللام بدل من ... [illegible] وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) اى علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤدى اى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) اى المرجع (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم أنت من ذكراها) فى اى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ كقولك ليس فلان من العلم فى شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لاتزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لايعلمها غيره او فيم انكار لسؤالهم عنها اى فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها اى ارسالك وأنت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلامعنى لسؤالهم عنها ولا يبعد ان يوقف

على هذا على فيم وقيل فيم أنت من ذكراها متصل بالسؤال اى يسألونك عن الساعة أيان مرساها و يقولون أين أنت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها (انما أنت منذر من يخشاها) اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) اى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية او ضحاها) اى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن أحد طرفى النهار عشيته او ضحاه والله أعلم

﴿ سورة عبس مكية وهى اثنتان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عبس) كلح اى النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) أعرض (أن جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه وأبوه شريح بن مالك أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو أشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك) واى شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل وأصله يتزكى فأدغمت التاء فى الزاى وكذا (او يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك اى موعظتك اى انك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك (أما من استغنى) اى من كان غنيا بالمال (فأنت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء فى الصاد حجازى (وما عليك ألا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله او الكفار اى اذاهم فى اتيانك او الكبوة كعادة العميان (فأنت عنه تلهى) تتشاغل وأصله تتلهى وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الشورى كانوا أمراء (كلا) ردع اى لا تعد الى مثله (انها) ان السورة او الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أى شاء ان يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر ألهمه الله اياه (فى صحف) صفة لتذكرة اى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر مبتدأ محذوف اى هى فى

صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء او مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله تعالى (بأيدى سفرة) كتبة جمع سافر اى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كرام) على الله او عن المعاصى (بررة) اتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر وهو امية او عتبة (ما اكفره) استفهام توبيخ اى اى شئ حمله على الكفر او هو تعجب اى ما أشد كفره (من اى شئ خلقه) من اى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر اى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه او بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فأقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه وأقبره الميت أمره بأن يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الايمان ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه الى آن انتهائه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا أمره (أنا) بالفتح كوفى على انه بدل اشتمال من الطعام و بالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم اى الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمى بمصدر قضبه اى قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا) مصدر اى منفعة (لكم ولانعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصخ الآذان اى تصمها وجوابه محذوف لظهوره (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه) لتبعات بينه وبينهم أو لاشتغاله بنفسه (وصاحبته وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أحب قيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) اى أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلوها العبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

[illegible] (اذا الشمس كورت) [illegible] كورت العمامة اذا لففتها اى [illegible] ضوءها لفا

فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وأبعدت اوسيرت فى الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون مادونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا مافيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور اذا ملأه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار اوقرنت الارواح بالاجساد او بكتبها وأعمالها اونفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت اولتدل على قاتلها اوهو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان أطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يكون بلا ذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها اى فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتاعشرة خصلة ست منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من أول السورة الى ما أحضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) اى كل نفس ولضرورة انقطاع النفس على كل آية جوز الوقف (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه او أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوءه

ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك تنفساله مجازا وجواب القسم (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجزعنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) اى فى السموات يطيعه من فيها او عند ذى العرش اى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحى (وماصاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليهما السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس (وماهو على الغيب) وما محمد على الوحى (بضنين) بخيل من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالوحى كما يبخل الكهان رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيأ مما علم بظنين مكى وأبو عمرو وعلى اى بمتهم فينقص شيأ مما أوحى اليه او يزيد فيه من الظنة وهى التهمة (وماهو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين اى ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع و بوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا اوذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم وقال الجنيد فأين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) اى القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحث واخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) اى كل نفس برة وفاجرة (ماقدمت) ما عملت من طاعة (وأخرت) وتركت فلم تعمل اوماقدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث (ياأيها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ماغرك بربك الكريم الذى خلقك) اى شئ خدعك حتى ضيعت ما وجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتنى ستورك المرخاة

وعن يحيى بن معاذ أقول غرنى بركك بى سالفا وآنفا (فسوّاك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض و بعضها أسود اوجعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم و بالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد اى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فى اى صورة ماشاء ركبك) مامزيد للتوكيد اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته من الصور المختلفة فى الحسن والقبيح والطول والقصر ولم تعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها او بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء اودين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعنى انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا بها (يعلمون ماتفعلون) لا يخفى عليهم شئ من أعمالكم وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال مااشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفى نعيم) ان المؤمنين لفى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) وان الكفار لفى النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى لا يخرجون منها كقوله تعالى وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل و بينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) اى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكى و بصرى اى هو يوم او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله) اى لا أمر الا لله تعالى وحده [illegible]

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) للذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة [illegible] كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل [illegible] مكان من للدلالة على ذلك [illegible] يجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول [illegible] الاختصاص اى يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من [illegible] لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك [illegible] اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك والضمير المنصوب فى (واذا [illegible]) راجع الى الناس اى كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل [illegible] اتزنوا كما قيل او

وزنوهم اكتفاء ويحتمل ان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا أعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان واخسره (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة ادخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا أنهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردع وتنبيه اى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف أعمالهم (لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فان قلت قد أخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه قلت سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم اولانه مطروح تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (وما يكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال أساطير الاولين) اى أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها أسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدي الاثيم عن هذا القول (بل) نفي لما قال او وقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم اى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصي وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبي سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج في الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيدا وقال

الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) اى هذا العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من أعمالهم والابرار المطيعون الذين لا يطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علىّ فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة او لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك ما عليون) ما الذى أعلمك يا محمد (ماعليون) اى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص لا غش فيه (مختوم ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه اوختامه مسك مقطعه رائحة مسك اى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه علىّ (وفى ذلك) الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب فى الجنة اولانها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم (عينا) حال او نصب على المدح (يشرب بها) اى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين (ان الذين أجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلع فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم) [illegible] الكفار الى منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخر [illegible] فاكهين اى فرحين (واذا رأوهم) [illegible] المؤمنين [illegible] (قالوا ان هؤلاء لضالون) اى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا [illegible] لا [illegible] الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (و[illegible] وما أرسلوا) الكفار (عليهم)

على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم و يرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) اى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ماذكر والله أعلم

﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها أن تسمع وتطيع لامر الله اذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل أمت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما فى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كانها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق ما فى طبعه (وأذنت لربها) فى القاءما فى بطنها وتخليها (وحقت) وهى حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم بمثلها من سورتى التكوير والانفطار او جوابه ما دل عليه فملاقيه اى اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه (يا أيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فأما من أوتى كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيآت وفى الحديث من يحاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (وينقلب الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى أهله فى الجنه من الحور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقى غير على (سعيرا) اى ويدخل جهنم (انه كان) فى الدنيا (فى أهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه راتعا (انه ظن أن لن يحور) لن يرجع الى ربه تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حورى اى ارجعى (بلى) ايجاب

لما بعد النفي في لن يحور اى بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لايخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) أيها الانسان على ارادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها في الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا اى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات اى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق اوحال من الضمير فى لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام اى طبقا من طباق السماء بعد طبق اى فى المعراج (فما لهم لايؤمنون) فما لهم فى ان لايؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم او بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع او غير منقوص والله أعلم

﴿سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء ذات البروج) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم او عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) اى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه [illegible] من يشهد فيه من الخلائق كلهم والمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من عجائبه وطريق [illegible] التنكير فيه اما ما ذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام فى الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة او عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم او أمة محمد وسائر الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام [illegible] آدم للحديث ما من يوم الا وينادى أنا يوم جديد وعلى ما يعمل فى شهيد [illegible] شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة او الحفظة وبنو آدم او الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا او الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) اى لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب

الاخدود وهو خد اى شق عظيم فى الارض روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبرضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه ورأى فى طريقه ذات يوم دابة قدحبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فخد أخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فألقى الصبى وأمه فيها (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (اذ) ظرف لقتل اى لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) اى الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) اى الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * وقوله

ما نقموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التى يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والارض) فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى انه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز ان يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لما روى ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اى بلوهم بالاذى على العموم

والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اى الذين صبروا على تعذيب الاخدود اوهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد أخذه الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه اوأوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم اذلم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لاوليائه وقيل الفاعل بأهل طاعته مايفعله الودود من اعطائهم ماأرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدا محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة على خلق أفعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) اى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لاخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن اى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق و [illegible] وركل شئ فيه مسطور مقاتل هو عن يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم

﴿سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والسماء والطارق وماأدراك ماالطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى أعين [illegible] لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة وأقسم بها و [illegible] النجوم اوجنس الشهب التى يرجم بها [illegible] فسره [illegible] يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه ووصف [illegible] طارق [illegible] اولانه يطرق الجنى اى يصكه وجواب القسم (ان كل [illegible] حافظ) [illegible] كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة [illegible] اى ما كل نفس

الاعليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة اى انه كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك ماتت وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا امره بالنظر فى أول أمره ليعلم ان من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا مايسره فى عاقبته ومم خلق استفهام اى من اى شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدوق فى الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه اى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انى لفقير واصب (يوم تبلى) اى تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه اى يعثه يوم تبلى (السرائر) ماأسر فى القلوب من العقائد والنيات وماأخفى من الاعمال (فماله) فما للانسان (من قوة) فى نفسه على دفع ماحل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) اى المطر وسمى به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ماتتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وماهو بالهزل) باللعب والباطل يعنى أنه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل او يتفكه بمزاح (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد فى ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) وأجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) اى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم) أنظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) امهالا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

﴿سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة ودليله أن يفسر الاعلى بمعنى العلو

الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث
لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم (الذى خلق فسوى) أى خلق كل شئ
فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه
صادر عن عالم حكيم أوسواه على مافيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) أى قدر
لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به أوفهدى وأضل ولكن حذف
وأضل اكتفاء كقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على (والذى أخرج المرعى)
أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (أحوى) أسود فاحوى صفة لغثاء
(سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ماشاء الله) أن ينسخه وهذا
بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لا يفلت منه شئ الا ماشاء الله أن ينسخه
فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا
تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة
كقوله السبيلا اى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ماشاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته
(انه يعلم الجهر ومايخفى) اى انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم
جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر اوماتقرأ فى نفسك مخافة النسيان اويعلم
ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وماظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك
لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر ومايخفى اعتراض ومعناه ونوفقك
للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر
الشرائع اونوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب
ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هوأمر
بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انما أنت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر)
سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة [illegible]
الذكرى فلا ينفعها (لا شقى) [illegible] وعتبة [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة [illegible]
يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة
يتلذذ بها وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب
الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك او تطهر للصلاة او أدى
الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح [illegible]
الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست [illegible]
عطفت عليها وهو يقتضى [illegible] جائز [illegible]
ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده [illegible]
اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد [illegible]

تفلحون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) أفضل في نفسها وأدوم (ان هذا لفي الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى اى ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف او الى ما في السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة لانه جعله مذكورا في تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفي الاثر وفي صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هل) بمعنى قد (أتاك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) اى وجوه الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء أثرا في وجهه (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مدداطويلة فلا حر يعدل حرها تصلى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والافعال راجعة الى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام الا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) اى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن في البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أدى اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان او المقدار (لا تسمع) يا مخاطب او الوجوه (فيها لاغية) اى لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم لا يسمع فيها لاغية مكي وأبو عمرو ولا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) اى عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن

بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين أيديهم يتلذذوا بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى (وزرابى) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أومفرقة فى المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبي عليه السلام بان ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لا تدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وتطول النمارق هذا الطول وتنبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ الابل (والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذا الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوزأن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهى أعز أموالهم وهم لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها ولان خلقها أعجب من غيرها [illegible] كل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا و[illegible] طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لا يرعاه سائر البهائم (فذكر) فذكرهم بالادلة ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار بمصيطر مدنى و[illegible] وعاصم (الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) [illegible] منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر بالله [illegible] عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل [illegible] فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب [illegible] (ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف للتشديد [illegible] ليس الا الى الجبار

المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شيء

﴿ سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر او بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذي الحجة او العشر الاول من المحرم او الآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها (والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها او شفع هذه الليالي ووترها او شفع الصلاة ووترها او يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع او الخلق والخالق والوتر حمزة وعلي وبفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازي والكسر تميمي وبعدما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال (والليل) وقيل أريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضي وياء يسر تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسرى وانما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه (هل في ذلك) اي فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) اي مقسم به (لذي حجر) عقل سمي به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه او هل في القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذي عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التي كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) اي ألم تعلم يا محمد علما يوازي العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد او طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات أساطين وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار

والانهار ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم و بلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية (الذين) فى محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا فى البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اى ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدّر شامى ويزيد (فيقول ربى أهانن) اى الواجب لمن ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى أكرمنى اى فضلنى بما أعطانى فيرى الاكرام [illegible] امتحنه بالفقر وقدر عليه رزقه ليصبر [illegible] ربى اهانني [illegible] فى هذا الخط من الله لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيرد عليه زعمه بقوله (كلا) اى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف [illegible] بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمنى وقت الابتلاء [illegible] خبر لمبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا [illegible] من بسط الرزق وتقديره [illegible] لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا [illegible] أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه [illegible] أيصبر [illegible] بالشر والخير فتنة وانما أنكر [illegible] قصد خلاف ما صححه الله عليه و[illegible]بته وهو [illegible]

كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) اى بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) اى الميراث (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربى حجازى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة فقال (اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس امره وقضاؤه (والملك صفا صفا) اى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) اى يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن اين له منفعة الذكرى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة اى ياليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) اى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو فى آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبى بن خلف اى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (ياأيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) او ثواب ربك (راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقال أبو عبيدة اى مع عبادى او بين عبادى اى خواصى كما قال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى كقراءة عبد الله بن مسعود فى جسد عبدى ولما

مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله وقيل هى عامة فى المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

﴿سورة البلد مكية وهى عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام و بما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم و بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أوسلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ونظير قوله وأنت حل فى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو ابراهيم وولده وما بمعنى من أو بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة [illegible] مربوط الحمل القصاء مدعوا الى الا[illegible] (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أ[illegible] الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة وان يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وأنه (يقول اهلكت مالا لبدا) اى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد اى كثر واجتمع يريد كثرة ما أنفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق ما ينفق [illegible] وافتخارا يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه [illegible] عينين) يبصر بهما المرئيات [illegible] يعبر به عما فى ضميره [illegible] يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق [illegible] طريقى الخير والشر المفضيين الى الجنة والنار [illegible] (فلا [illegible] وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او [illegible] متربة ثم كان من الذين آمنوا)

يعني فلم يشكر تلك الايادي والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب او اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه مرضي نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا في الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضي الامكررة وانما لم تكرر في الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كانه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحام [illegible] ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة في مال الكتابة فك رقبة او أطعم مكي وأبو عمرو وعلي على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة كقولهم هم ناصب اي ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا اي داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) اي الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن او بدلائلنا (هم اصحاب المشأمة) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اي الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عليهم نار موصدة) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص اي مطبقة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته والله أعلم

﴿سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والشمس [illegible]) ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها في الضياء والنور و[illegible] الاول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس [illegible] عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تجلى في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل

الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز ألا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء أو ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف وكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين (٢) لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو أقسم فلو جعلت الواو فى والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فكان كقولك ان فى الدار زيدا والحجرة عمرا وأجيب بان واو القسم تنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كانها العاملة نصبا وجرا أو صارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) اى وبنائها وطحوها اى بسطها وتسوية خلقها فى أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فألهمها لما فيه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس او أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فألهمها فجورها وتقواها) فأعلمها طاعتها ومعصيتها أى أفهمها ان احدهما حسن والآخر قبيح (قد افلح) جواب القسم والتقدير لقد افلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم اى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد افلح فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس [illegible] جواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله [illegible] (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة أفلحت نفس زكاها الله وخابت نفس أغواها الله ويجوز أن تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة (اشقاها) اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذ منصوب بكذبت او بالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام (ناقة الله) نصب على [illegible] عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما [illegible] ان فعلوا (فعقروها) اى الناقة [illegible] صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) [illegible] بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة [illegible]

يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة اى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

﴿ سورة الليل احدى وعشرون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار من قوله يغشى الليل النهار او كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على أثره (فأما من أعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او بالكلمة وهى لا إله إلا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام او الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة أعسر شئ عليه واشد او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او أراد بهما طريقى الجنة والنار (وما يغنى عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك او تردى فى القبر او فى قعر جهنم اى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى او انهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ الطريق (فأنذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب قال أبو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فأراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد ان يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى

كأن النار لم تخلق إلا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق إلا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر (وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) اى وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا ان يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فذا آية الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

﴿سورة والضحى مكية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا او النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرت يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) اى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما أعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك أخبره بما له فى الآخرة وهو أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لا أرضى قط وواحد من أمتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ كذلك لان المعنى لأنا أقسم وهذا لانها ان كانت لام قسم فلامه لا تدخل على المضارع الا مع نون التوكيد فتعين ان تكون لام الابتداء ولامه لا تدخل الا على المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل يؤذن ان اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لا تدخل على سوف وذكر ان الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بأن العطاء كائن لا محالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه

أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ماسلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولا يقل صبره فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات أبواك (فآوى) اى فآواك الى عمك أبى طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك (ووجدك ضالا) اى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز أن يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه السلام من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة او بما أفاء عليك من الغنائم (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا اورد جميلا وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) اى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعلم القرآن والشرائع والله أعلم

﴿ سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى اى فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين وأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زله لا تعرف بعينها وهى ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين وفائدة لك ما عرف فى طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك أن ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) اى ان مع الشدة التى أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا [illegible] ... وصلى الله فان مع العسر الذى أنتم فيه يسرا

وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع أمير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع أمير غلاما وان مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات (فاذا فرغت فانصب) اى فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد فى عبادة الرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء واختلف انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

﴿سورة والتين مكية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والتين والزيتون) اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء [illegible] هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما (وطور سينين) أضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل أمانة فهو أمين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء [illegible] التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى [illegible] المكان الذى نودى منه موسى [illegible] مكة مكان البيت الذى هو هدى [illegible] ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين اوالاول [illegible] والثالث على موسى والرابع على محمد عليهم السلام وجواب القسم (لقد [illegible]) وهو جنس (فى أحسن تقويم) فى أحسن تعديل لشكله وصورته و[illegible] (ثم رددناه أسفل

سافلين) اى ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار او أسفل من سفل من أهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع اى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات اى فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى ان يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء او للرسول صلى الله عليه وسلم اى فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم

﴿سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عن ابن عباس ومجاهد هى أول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرأ مفتتحا باسم ربك كأنه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه اوتقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص الانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان مالم يعلم) ودل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين

ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا أمر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت في أبي جهل الى آخر السورة (أن رآه) ان رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع اى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) اى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (أرأيت ان كان على الهدى) اى ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (أو أمر بالتقوى) أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (أرأيت ان كذب وتولى) أرأيت ان كان ذلك الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان أكرمتك أتكرمني وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطا بقوله (كاذبة خاطئة) [illegible] [illegible] كاذب خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادي روي ان أبا جهل مر بالنبي عليه السلام وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددني وانا أكثر أهل الوادي ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابي جهل (لا تطعه) اى اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) [illegible] الى ربك بالسجود فان أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا الحديث [illegible]

﴿سورة القدر مكية [illegible]﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أنزلناه في ليلة القدر) عظم القرآن حيث أسنده [illegible]

اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى أنزله فيه روى أنه أنزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير اوسميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبوحنيفة رحمه الله عن عاصم عن ذران أبى بن كعب كان يحلف على ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى (وما أدراك ماليلة القدر) اى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن النبى عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا اوالى الارض (والروح) جبريل اوخلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة او الرحمة (فيها باذن ربهم من كل أمر) اى تنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف (سلام هى) ماهى الا سلامة خبر ومبتدأ اى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة اوماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) اى الى وقت طلوع الفجر وبكسر اللام على وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله اعلم

﴿سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) اى اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رسول من الله) اى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلوا) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة) فمنهم من أنكر نبوته

بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما أفرد أهل الكتاب بعدما جمع أولا بينهم و بين المشركين لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التورية والانجيل (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق (حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) اى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) وافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) اى الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برأ الله الخلق وقيل اشتقاقها من البرى وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (وأخرجت الارض أثقالها) اى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبهما (تحدث) اى تحدث الخلق (أخبارها) وحذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بأن ربك أوحى لها) اى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها اى اليها وامره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا أعمالهم) اى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) اى ير جزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار والاول فى المؤمنين ويروى ان اعرابيا أخر خيرا يره فقيل قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانه ... كلا جانبى هرشى لهن طريق

وروى ان جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبي حسبي وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

﴿ سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والعاديات ضبحا) أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها اذا عدن وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه حكاه فقال أح أح وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة اوللعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن وجوب القسم (ان الانسان لربه لكنود) لكفور اى انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه اووان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (أفلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (مافى القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل مافى الصدور) ميز مافيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم فى جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

﴿ سورة القارعة مكية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدا الاول وكان حقه ماهى وانما كرر تفخيما لشأنها (وما أدراك ما القارعة) اى اى شئ أعلمك ماهى ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة اى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها (فأما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا اومرضية (وأما من خفت

موازينه) باتباعهم الباطل (فأمه هاوية) فسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة والله أعلم

﴿سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أوحتى زرتم المقابر وعددتم من فى المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبور (كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف اى لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر او لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل اوالاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه وقدروى مرفوعا والله أعلم

﴿سورة والعصر مختلف فيها وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة ولان التكليف فى أدائها اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم اوأقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة اوأقسم بالزمان لما فى مروره من اصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفى خسر) اى جنس الانسان فى خسران من تجاراتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهوالخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله اعلم

﴿ سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) اى الذى يعيب الناس من خلفهم (لمزة) اى من يعيبهم مواجهة و بناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد و يجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذى) بدل من كل او نصب على الذم (جمع مالا) جمع شامى وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعدده) اى جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) اى تركه خالدا فى الدنيا لا يموت اوهو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) اى الذى جمع (فى الحطمة) فى النار التى شأنها ان تحطم كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدا محذوف اى هى نار الله (الموقدة) نعتها (التى تطلع على الافئدة) يعنى انها تدخل فى أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا اشد تألما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم) اى النار او الحطمة (مؤصدة) مطبقة (فى عمد) بضمتين كوفى غير حفص الباقون فى عمد وهما لغتان فى جمع عماد كاهاب وأهب وحمار وحمر (ممددة) اى تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة (٢) كحاطب الليل لا يبالى من أين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى ألم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى ان أبرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم

برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليها كبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا وماما ت أبرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت اوّلا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) حزائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنككل وعليه الجمهور اى الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

﴿ سورة قريش مكية وهى اربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة او عاقبة اى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الاتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف أبىّ سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائى ترك التسمية بينهما والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف قريش شامى اى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم

مفعولا به وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفردلا من الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون
في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم
أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف) والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من
جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل اوخوف
التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة
وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

﴿سورة الماعون مختلف فيها وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أرأيت الذي يكذب بالدين) اي هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك
الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده
ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام
المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف اي لو
آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل انه مكذب
بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن
ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين اي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها
ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين
صورة وهم غافلون عن صلاتهم وانهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تأدية لفرض فهم
ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض
ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم
يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل
المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان اوحديث نفس وذلك لا يخلو
عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره
والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يرائي الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به
ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم
ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان اظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا
والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة من الفأس
والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة

أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير (فصل لربك) فاعبد ربك الذي أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا العبدة الاوثان في النحر لها (ان شانئك) ان من أبغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة قيل نزلت في العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له وهو خبر ان وهو فصل

﴿سورة الكافرين ست آيات مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل يا أيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة وقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فآيسوا (لا أعبد ما تعبدون) اى لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون (ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعني الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا اعبد فيما استقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة اى لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق اوذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح في الاول من وصح في الثاني ما بمعنى الذي (لكم دينكم ولي دين) لكم شرككم ولي توحيدي وفتح الياء نافع وحفص وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال له ناديا ابن مسعود فقرأ قل يا أيها الكافرون ثم قال له في الركعة الثانية اخلص فقرأ قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله اعلم

﴿سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة وروى انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة اوجنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (ورأيت الناس

نو حال من الناس على ان رأيت بمعنى ابصرت اوعرفت اومفعول ثان على انه
بمعنى علمت (في دين الله أفواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اى اذا جاء
نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت اهل اليمن يدخلون في ملة الاسلام جماعات
كثيرة بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك) فقل
سبحان الله حامدا له اوفصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس اودم على الاستغفار
(انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبه وفى صفة العباد الكثير العمل للتوبة
ويروى ان عمر رضي الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله أعلم

﴿ سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والمعنى
هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك
كله أوجعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان
ذلك وحصل كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روى انه لما نزل وأنذر عشيرتك
الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال عليه الصلاة
[illegible] عبد المطلب يا بنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي
[illegible] تبالك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما
كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم او لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى اولان
[illegible] حاله كنيته أبي لهب مكى (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما
كسب) مرفوع وما موصولة اومصدرية اى ومكسوبه او وكسبه اى لم ينفعه ماله الذى
ورثه من ابيه والذى كسبه بنفسه اوماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما
[illegible] كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فأنا افتدى منه نفسى
بمالى وولدى (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمى عن أبي بكر والسين للوعيد اى هو
كائن لا محالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب
أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل
فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين
الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته

لانها عطفت على الضمير فى سيصلى اى سيصلى هو وامرأته والتقدير اعنى حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته اوهى حمالة (فى جيدها حبل من مسد) حال اوخبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان اوجلد اوغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله أعلم

﴿ سورة الاخلاص اربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لا ثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك ان قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا أحد خبر مبتدا محذوف اى هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا اولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضى احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وماوراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضى ذلك الى وجود اعداد لانهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيأ من افعاله عن الآخر [illegible] مستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا [illegible] معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدوره [illegible] زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدوره فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا (الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى

تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لاشريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين اوغير متصف بها بل بأضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا احد) ولم يكافئه احد اى لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بأنه حى لان المتصف بالقدرة والعلم لا بد وان يكون حيا وفى ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا بأضدادها وهى نقائص ودام من أمارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى لا يحتاج الى احد ويحتاج اليه كل أحد وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفى أن يماثله شئ ومن زعم ان نفى الكفء وهو فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفؤا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا اى خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من أول الامر انه خبر لا فضلة وتأخيره اذا كان لغوا اى فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم فى الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارئ سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء واذا وصل نون وكسر أو حذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفى الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم

هوالله وصفاته وما يجوز عليه ومالا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هوالله أحد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) اي الصبح اوالخلق اوهو واد في جهنم اوجب فيها (من شرما خلق) اى النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف اومصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الجر بدل من شرأى شرخلقه اى من خلق شرأوزائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه في كل شئ وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شرهذا وانه ا[illegible] اذا وقب [illegible] في الكسوف [illegible] وداده (ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أوالنفوس أوالجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهودليل على بطلان قول المعتزلة فى انكار تحقق السحر وظهورأثره (ومن شرحاسد اذا حسد) أى اذاظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذالم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هوالضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شرهذه الاشياء بعد الاستعاذة من شرما خلق اشعار بأن شرهؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم أنه شرها وهوأول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه [illegible] لان كل نفاثة شريرة ولذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله أعلم

﴿سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل اعوذ برب الناس) أى مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما اله الناس فخاص لاشركة فيه وعطف البيان للبيان [illegible] الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك

روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر على الصفة او الرفع او النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس. (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد ابن أعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام صلى الله عليه وسلم عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما انشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده والاعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا واقوالنا ومن شر ما عملنا ومالم نعمل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وحبيبه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الانام وأصحابه مفاتيح دار السلام صلاة دائمة ما دامت الليالى والايام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله هداة الامم وأصحابه نجوم الاسلام (وبعد) فقد تم طبع هذا التفسير الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل لابى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه وذلك على نفقة حضرة خادم العلم (السيد محمد عبد اللطيف الخطيب) وكان هذا الطبع الزاهر والوضع الانيق الباهر بالمطبعة الحسينية المصرية فى أوائل شهر رجب سنة ١٣٤٤ هجريه
على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه